بسم الله الرحمن الرحيم

(1)

الوحدة الإسلامية
أهميتها - أهدافها - منهجها

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه، أرسله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن للعاملين في الحقل الإسلامي مشكلات تزداد حدتها يوماً بعد آخر، وتتشابه هذه المشكلات رغم تباعد الديار واختلاف البلدان والجنسيات، فالأسئلة التي يطرحها الدعاة الشباب في مصر. والسودان والمغرب العربي هي نفسها الأسئلة التي يطرحها إخوانهم في باكستان والهند وماليزيا وأندونيسيا. ومن هذه الأسئلة الكثيرة نختار ما يلي:

- ما هي أسباب تعدد الأحزاب والجماعات الإسلامية، ولماذا لا يتوحدون فى جماعة واحدة؟!

- ما هو السبيل إلي إقامة حكومة إسلامية؟!

وكل مسلم يتمنى أن يكون الدين كله لله في هذه الأرض،. وأن يتحرر المسلمون في بلدانهم من استعمار القوانين الغربية... ولكن المشكلة المطروحة أننا نجد شباباً جهلة لا يفقهون العلوم التي يعد تعلمها فرض عين على كل مسلم يتوسعون فى الحديث عن إقامة الحكومة الإسلامية، ويفتون ولا يتورعون في سفك الدماء وإباحة النفس التي حرمها الله، ولا يشعرون بأنهم قد ضلوا الطريق.

- هل يجوز مبايعة قائد الجماعة... ومثل هذه البيعة إن كانت جائزة هل هي عامة كبيعة خليفة المسلمين... وهل طاعة القيادة طاعة ومعصيتهم معصية؟!

- هل الحق مرتبط بأقدمية الجماعة وكثرة أفرادها أم مرتبط بصحة المنهج وسلامته من البدع والانحرافات؟!

- هل يجوز تقليد مذهب من المذاهب الأربعة، أم أن كل مسلم ملزم بمعرفة الحق مع دليله، أم أن الأصل تقليد الجماعة في كل ما تراه وتعتقده؟!

هذه نماذج قليلة من الأسئلة التي تكثر إثارتها ويشتد حولها الخلاف، وجمهور الشباب يبحثون عن أجوبة شافية كافية تنقذهم من القلق الذي ينتابهم، وإن كان بعضهم راح يتخذ من طرح هذه الأسئلة وسيلة للتسلية، ويتلذذ فى إحراج الآخرين وإرباكهم، ولا يهتم بالعمل وإنما يهتم بالجدل وإثارة الخلافات، والعبرة في جمهور الشباب ولكل قاعدة شواذ.

وعندما فقد الشباب الدعاة الأجوبة الشاملة التي تجمع بين الدقة في فهم الواقع المعاصر وبين معرفة الأدلة الشرعية وحسن الاستدلال بها، وفقدوا أيضا العلماء الدعاة الرواد الذين لا يخشون في الله لومة لائم... عندما فقدوا هذا وذاك كثرت الاجتهادات، وسهل على هؤلاء الشباب إصدار الفتاوى والأحكام، وتجميع أقرانهم على ذلك، ووجدوا من يتبعهم ويقلدهم، ولهذا فقد كثرت الخلافات، وأصبح الناس يفترقون ويتخاصمون في أمور لا يجوز فيها الاختصام ولا الافتراق، وإلى الله المشتكى وهو وحده المستعان.

وبدهي أن تقلقني هذه المشكلات وتقض مضجعي، وتفرض علي الدراسة والبحث لأنني أعيش بين هؤلاء الشباب الحيارى، أحبهم من أعماق قلبي، وأخشى عليهم من العاديات، وأعتقد بأنهم أمل هذه الأمة المرجو بعد الله سبحانه وتعالى. وقبل عرض النتائج التي انتهيت إليها أود التنبيه على الأمور التالية:

أولاً:

وقفت طويلاً وأنا أكتب هذه الفصول عند قوله ﷺ: " [illegible] "[1].

[illegible]

[1] - متفق عليه، ورواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(1) - رواه مسلم في صحيحه.

(2) - انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص 70.

(3) - رواه مسلم في صحيحه.

[1]- هذا لسان حالهم، أما المصلحون الدعاة فعليهم أن ينكروا المنكر وليغضب من يغضب وليرضَ من يرضى.

[1]- جماعات الغلو والابتداع لا يجوز الانتساب إليها ابتداءً، ومن انتسب إليها كان ضالاً مضلاً.

[1]- أعني العلم مع إخلاص القصد الذي سبق الحديث عنه في مطلع هذا البحث.

أهميتها. أهدافها. منهجها
)الحلقة الثانية)

محمد سرور زين العابدين

حدود الأمة الواحدة

هذه الأمة شرّفنا الله جل وعلا بالانتساب إليها هل هي قاصرة على المسلمين العرب.. أم تشمل كل مسلم آمن يبعثه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم... أم هي أشمل من ذلك وأعم؟!

إن الإجابة على هذه الأسئلة حسمتها الآية الكريمة: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) (المؤمنون51-52).

وفي سورة الأنبياء قص الله سبحانه وتعالى قصص: إبراهيم، ولوط، وإسحق، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذي الكفل، ويونس، وزكريا، ومريم ابنة عمران وابنها عيسى عليهم السلام، ثم ختم الحديث عنهم بقوله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (الأنبياء/92).

قال القاسمي رحمه الله: (إن هذه الأمة هنا بمعنى الملة، وهو الدين المجتمع عليه، كما في قوله: (إنا وجدنا آباءنا على أمة) أي على دين يجتمع عليه.. والخطاب للناس كافة. وقوله: (أمة واحدة) يعني غير مختلفة، أي أن جميع الأنبياء ورسل الله على ملة واحدة ودين واحد.. والأمة بهذا المعنى هو مارجحه كثيرٍ من المفسرين في هذه الآية، وفي آية: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) (1)

ودين هذه الأمة الواحدة الإسلام، قال تعالى: (أفغير دين الله يبغونَ ولهُ أسلمَ من في السموات والأرض طوعاً وكَرهاً وإليه يرجعون، قُل آمنّا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (آل عمران/83-85).

وقال: (إن الدين عند الله الإسلامُ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب) (آل عمران/19).

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام): هذا (إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به من كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي سدّ جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم فمن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) الآية، وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام) اهـ (2).

وقال نوح عليه السلام مخاطباً قومه. قال تعالى: (فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) (يونس/72).

وقال تعالى عن إبراهيم: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) (البقرة/ 127-128).

وقال تعالى عن الصديق يوسف: (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض انت وليّي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) (يوسف/101).

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) (يوسف/840).

وقال عن السحرة الذين آمنوا بموسى: (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) (الأعراف/ 126).

وقال عن سليمان: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين) (النمل/ 30-31).

وقال عن بلقيس: (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) (النمل/440).

وقال عن أنبياء بني إسرائيل: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) (المائدة/44).

وقال عن الحواريين: (وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأنا مسلمون) (المائدة/11).

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لِعَلاٍ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد) (3).

قوله: (والأنبياء إخوة لعلات) والعلات بفتح المهملة الضرائر وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها. والعلل الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات: الإخوة

من الأب وأمهاتهم شتى.. ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع.

وفضلا عن اخوة الدين فأنبياء الله إخوة في النسب لأن الله سبحانه وتعالى لم يرسل رسولاً ولا نبياً بعد بعثة نوح عليه السلام إلا كان من ذريته، وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالته (4).

قال تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ذرية بعضُها والله سميع عليم) (آل عمران/33-34).

وقال: (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) (الحديد/26).

وقال: (ووهبنا له إسحق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين. وإسماعيل واليسعَ ويونس ولوطاوكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم) (الأنعام/84-87).

وفي حديث الإسراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... ورأيت إبراهيم عليه السلام، وأنا أشبه ولده...) (رواه مسلم).

وقال إبراهيم لمحمد صلى الله عليهما وسلم يوم الإسراء: (مرحباً بك من ابن ونبي...) (رواه البخاري ومسلم).

وإذن فدين أنبياء الله واحد، ونسبهم واحد، وهم قادة الأمة الواحدة وذلك هو الفضل العظيم. قال تعالى: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (الجمعة/40).

ومن حكم الله العجيبة أن الأنبياء والرسل جميعاً كانوا يعرفون أن الله سيبعث محمداً صلي الله عليه وسلم. قال تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (آل عمران/ 81).

والإصر: الثقل، فسمي العهد إصراً، لأنه منعٌ من الأمر الذي أخذ له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قال ابن عباس وغيره من السلف: ما بث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه. والاية تدل على ما قالوا، فإن قوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) يتناول جميع النبيين (لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه). وبعد كلام طويل لشيخ الإسلام عن موضع اللام في قوله تعالى: (لتؤمنن به) ختم حديثه عن هذه الآية بقوله: فدل ذلك على أن من أدرك محمداً من الأنبياء وأتباعهم وإن كان معه كتاب وحكمة فعليه أن يؤمن بمحمد وينصره كما قال: (لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) . وقد أقر الأنبياء بهذا الميثاق وشهد الله عليهم به كما قال تعالى: (أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (اهـ (5).

حقاً لقد كان الأنبياء يعرفون أن الله سيبعث محمداً صلى الله عليه وسلم قبل أن تلده أمه بآلاف السنين، وعاهدوا الله على نصرته وتأييده.. ولكن هل رأوه مشاهدة فتحدث إليهم وتحدثوا إليه؟!

والجواب: نعم رأوه مشاهدة ليلة الإسراء والمعراج، وتحدث إليهم، وتحدثوا إليه، وكان إمامهم في بيت المقدس، وأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم ما جرى بينه وبينهم بل وذكر أوصافهم ومن يشبهون من أصحابه.

وهذا اللقاء المبارك من المعجزات، والله قادر على كل شيء، وحسبنا أن الأدلة من الكتاب والسنة على حدوثه ثابتة وواضحة.

ولقد سد الله جل وعلا - كما قال ابن كثير - بعد بعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم، والأدلة على ذلك كثيرة، نختار منها ما يلي:

1- قوله تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (آل عمران/85).

وإذا كانت المعالم الصحيحة للأديان السابقة قد اندرست، وداخلها الشرك وعبادة الأوثان.. وإذا كان اليهود قد غيروا نصوص التوراة، وغير النصارى نصوص الإنجيل، فقد أصبح الطريق الوحيد لفهم الإسلام والعمل به التمسك بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

2- أول عمل يفعله المسيح عيسى بن مريم عند نزوله في آخر الزمان كسر الصليب وقتل الخنزير، وتحكيم الكتاب والسنة، ويصلي مأموماً بإمام المسلمين - أي المهدي عليه السلام - (6).

3- تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى جوامع من التوراة بأيدي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقال له: (والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم...)، وفي رواية: (لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني) (7).

مشاعر غريبة يمتلئ بها قلب المؤمن وهو يرتل القرآن الكريم، ويستعرض بعقله وعواطفه وجميع جوارحه سير أنبياء الله - قادة هذه الأمة الواحدة - مع أقوامهم،

فإذا مرّ على الآية الكريمة التي تشير إلى إلقاء يوسف عليه السلام في الجب انتابه شعور بأن هذا الفتى من أقرب الناس إليه، وأحس بأن هذا الجب غير بعيد عنه يعرفه، ويعرف أشكال رواده، وأحوالهم وعاداتهم، وتنساب عيناه بالدمع وهو يتلو قول يعقوب. قال تعالى: (وتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحُزن فهو كظيم) (يوسف/84).

وإذا قرأ قصة الطوفان تعلق قلبه بالنخبة الطاهرة الطيبة التي التفت حول نوح عليه السلام في سفينته...

ومن المفيد هنا أن نذكر قصة (الوزَغ) - وهو حيوان صغير جداً -:

لقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الوزغ لأنه كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام، وكانت عائشة رضي الله عنها تقتل الأوزاغ لأن إبراهيم لما ألقي في النار جعلت الدواب كلها تطفئ عنه إلا الوزغ، فإنه جعل ينفخها عليه (8).

(سبحانك يا رب أي دين عظيم هذا الدين هديتنا إليه ورزقتنا اتباعه؟! أية مشاركة وجدانية تلك المشاركة التي أوجدها الإسلام بين أفراده؟!

منذ آلاف السنين وكلما رأى المسلمون وزغاً سارعوا إلى قتله لأنه كان ينفخ النار على أبينا إبراهيم عليه السلام. ولأن عدو إبراهيم عدو لكل مسلم... وسيبقى المسلمون على ذلك حتى يبعث الله الأرض ومن عليها، فلا ود ولا مصالحة مع أعداء الله ولو كانوا حيوانات صغيرة كالأوزاغ.

وقضية الوزغ يعرفها خاصة المسلمين وعامتهم، فلو رأى فتى صغير في قرية نائية وزغاً لسارع إلى قتله لأنه رأى أهله يقتلونه وسمع منهم أنه كان ينفخ النار على خليل الرحمن عليه السلام) (9).

وكراهية المسلم لأساطين الكفر والضلالة أشد من كراهيته للوزغ، فهو يمقت كل طاغوت متجبر ورد ذكره في القرآن الكريم:كالنمرود، وفرعون، وقارون، وزوجة لوط، وابن نوح، وأبي لهب، وعبد الله بن ابي... فإذا قرأ قوله تعالى: (فخسفنا به وبداره الأرض) تهلل وجهه بالفرح والبشرى، وسأل ربه أن يخسف الأرض بكل طاغوت مفسد لا يؤمن بيوم الحساب. قال تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) (المجادلة/22).

فلا ينبغي ان يكون في قلب المؤمن مثقال ذرة من الحب للكافر لأنه من حزب الشيطان، وهو عدو للشيطان وحزبه: (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) (المجادلة/19).

النتائج:

1- كل من لقي نبياً من أنبياء الله فآمن به، ومات على ذلك فهو من الأمة الإسلامية الواحدة، ومن حزب الله. قال تعالى: (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (المائدة/56).

وقال: (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون9 (المجادلة 22).

ومن أعضاء هذا الحزب العظيم:

- قوم نوح عليه السلام الذين ركبوا معه في السفينة.
- النفر القليل الذين آمنوا بما دعاهم إليه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وهاجروا معه من أرض العراق.
- الرجل الذي كان يكتم إيمانه من بني إسرائيل.
- بلقيس وامرأة فرعون.
- السحرة الذين آمنوا برب هارون وموسى.
- حواريو عيسى عليه السلام.
- أصحاب رسولنا صلى الله عليه وسلم.

أخي الداعية:

إن الحزب الذي تنتسب إليه موغل في القدم، ولقد كان أبونا آدم عليه السلام أول رجل على ظهر هذه البسيطة يرفع رايته، ولو اجتمع اعداء الإسلام على صعيد واحد فلن يستطيعوا أن يوقفوا مده أو يتمكنوا من القضاء عليه.. وقد اجتمعوا مرات ومرات (والتاريخ خير شاهد على ذلك) وشحذوا هممهم، وسخروا كل طاقاتهم فأخزاهم الله جل وعلا وجعلهم عبرة لمن يعتبر، وبقي حزبك يا أخي قويا مرهوب الجانب فلا تحزن ولا تقنط من رحمة الله.

اخي الداعية: كن عالمياً بتصوراتك ومشاعرك، وإياك إياك أن تتعصب لمجموعة من إخوانك الدعاة دون غيرهم، أو لفترة زمنية هي عمر جماعتك، وتتناسى هذا التاريخ القديم.

إياك يا أخي أن تتعصب لجنس أو لقوم أو لبقعة جغرافية ضيقة، فكل جماعة تتأسى برسول الله وأصحابه - صلى الله عليه وعلى اله وصحبه - هي جماعتك، وكل بلد يدين شعبه بالإسلام هو بلدك، وكل مسلم أخوك ولو كان من أقصى مكان في هذه المعمورة، ورحم الله من قال:

ومما زادني شرفاً وتيهاً
وكدت بمخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قول يا عبادي

وأن صيرت أحمد لي نبياً

فليراجع أنفسهم الذين يتعصبون لجماعات صغيرة لا يرون الخير إلا من خلالها، ويعادون كل من يرفض الإنضمام إليها أو يعاملونه معاملة تأباها الآداب الإسلامية.

2- إن قيادة الأمة الواحدة انتهت إلى رسولنا صلى الله عليه وسلم، وإلى أمته بعده.. وهي باقية فيهم لا تفارقهم، والله جل وعلا هو الذي اختار خاتم أنبيائه ليكون إماماً للأنبياء - عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم - ، وهذه الإمامة شاملة لأمور الدين والدنيا.

ولا تستقيم أمور المسلمين اليوم إلا إذا استردوا قيادة البشرية من حزب الشيطان.. ولا يجوز أن تتحول الأمة الواحدة إلى أمم وجماعات شتى.

3- تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ دين هذه الأمة. قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، وقال صلى الله عليه وسلم: (لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك) (10).

4- ولقد كان هدف أنبياء الله - قادة ورواد الأمة الواحدة - إقامة دين الله وعدم الاختلاف فيه. قال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) (الشوري/ 13).

ولن تتغير أحوال المسلمين اليوم إلا إذا تمسكوا بهذه الوصية الربانية الخالدة.

هوامش:

1- تفسير القاسمي، تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي: 11/4307، نقلت قوله مع شيء من التصرف.

2- تفسير ابن كثير: 1/354 مطبعة البابي الحلبي.

3- رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام. فتح الباري: 7/301، البابي الحلبي.

4- تفسير ابن كثير، سورة الحديد: 4/316.

5- دقائق التفسير، الشيخ الإسلام ابن تيمية: 2/99، جمع الدكتور محمد السيد الجليند، دار الأنصار، القاهرة.

6- انظر صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب نزول عيسى عليه السلام.

7- رواه الإمام أحمد في سنده إلى عبد الله بن ثابت رضي الله عنه. انظر المسند: 3/470 و4/265، وانظر كتاب السنة 1/27 لأبي عاصم، وقال الألباني: حديث حسن وله طرق أشرت إليها في المشكاة (177)،ثم خرجت بعضها في الإرواء (1589).

8- حيث الوزغ رواه البخاري ومسلم، والنسائي، وابن ماجة.

9- قصة الوزغ وبعض ما ذكرته في هذا البحث اعتمدت فيها على كتابي (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله).

10- الحديث صحيح، انظر كتاب السنة لأبي عاصم الشيباني: 1/27.

خارطة للقوى
في الساحة الأمريكية

د. سلطان الكهلاني

اليمين المحافظ

أ - الأصوليون الجدد.
ب - غلاة المحافظين.
ج - الجمهوريون التقليديون.
د - الشركات المتعددة الجنسيات، ورجال الأعمال.
هـ - اللوبيات الخارجية: مثال اللوبي الصهيوني، اللوبي الشرق آسيوي.

مقدمة لا بد منها:

بانقضاء عام 1988م بينت نتائج الانتخابات في العالم الغربي وبوضوح سيطرة اليمين المحافظ على العملية السياسية عموماً، والتي ظهرت من خلال نتائج الانتخابات بصورة خاصة.. ففي الولايات المتحدة الأمريكية استطاع جورج بوش مرشح اليمين المحافظ هزيمة منافسه مايكل دوكاكس بسهولة وبأغلبية شبه مطلقة، ليكون بوش الرئيس المحافظ للمرة الثالثة على التوالي مما يشكل سابقة في التاريخ السياسي المعاصر للولايات المتحدة..، وفي كندا استطاع بريان مالروفي مرشح المحافظين التقدميين أن يكتسح صناديق الاقتراع مزيلاً منافسيه الليبراليين عن السيطرة السياسية، أما في بريطانيا فلا تزال مارغريت تاتشر تتربع على كرسي رئاسة الوزراء للعام العاشر على التوالي ولفترة ثالثة مسجلة فوزاً تاريخياً (لليمين) في نصف الكرة الغربي..، ولعل الانتصار السياسي يشكل صورة واحدة من تلك الصور التي توحي بعودة قوى اليمين المحافظ إلى مختلف الأصعدة السياسية والدينية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية. هذه العودة توحي بدخول اليمين المحافظ إلى الساحة وبقوة تتزامن مع (العهد المحافظ) الذي تكتب فصوله الآن.. والذي يوحي بانتعاش الأفكار المحافظة من جديد بعد ضمور دام أكثر من ثلاثة عقود سيطرت خلالها الأفكار الليبرالية والتحررية على الغرب منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، كما أن هذه العودة أخذت صورة هجوم كاسح لا يستثني ساحة من ساحات المعركة ولا مجالاً دون الآخر.

ولعل من المهم ان نوضح ما نعنيه (باليمين المحافظ) ذلك أن هذا الاصطلاح يشكل مظلة كبيرة تنضوي تحتها مجموعة أفكار، ومناهج، ومذاهب ترتبط برباط هش فكرياً، وأقل تماسكاً من الناحية التنظيمية، وإن كان ما يجمعها في الغالب ذلك الرباط السياسي القائم على المصلحة المشتركة فيما بينها..، وتقوم فلسفة اليمين المحافظ من الناحية السياسية على مفهوم)القوة الرادعة) والذي يرى في الغرب القوي إلفتاك قوة خير مطلقة تواجه القوى السياسية الأخرى والتي تشكل هاجساً أمنياً وحضارياً، قائماً او محتملاً يهدد النظام الغربي المسيطر على العالم اليوم..، هذا اليمين المحافظ يشمل مجموعة: قوى اقتصادية تأتي شركات الأسلحة في مقدمتها، ورجال أعمال وفاعليات اقتصادية مستفيدة من السيطرة العسكرية، ورجال سياسة يؤمنون بالتفوق المطلق للغرب وبصورة مطردة، ورجال فكر وصحافة ينشرون هذه الأفكار ويحذرونها، ومنظمات دينية ترى في الغرب المسيحي ذراع خير في مواجهة الآخر، الملحد..، ويأتي في مقدمة هذه القوى الحركة الدينية الجديدة المعروفة بالحرفيين أو fundamentalist والتي تشهد تمدداً كيفياً وكمياً جعلها من أهم حركات اليمين المحافظ الذي يقدم طرحاً فكرياً وعملياً يجعل من الإنجيل المحرف منهج حياة يقودها ويسيرها في جميع نشاطاتها، بينما تنشط من الناحية السياسية تجمعات (المحافظين الجدد) (Neoconservatives) والتي شكلت الغطاء الفكري لفترة حكم ريغان بصورة شبه كاملة، هذا بالإضافة الى القوة اليمينية التقليدية المعروفة كالحزب الجمهوري، والشركات الرأسمالية الضخمة المتعددة الجنسيات… الخ.

وهنا يبرز سؤال ملح: لماذا هذه الدراسة في هذا الوقت لهذه القوى بالذات؟ ولعل الإجابة تطول والأسباب تتعدد، وربما تكون أهم معالمها ما يأتي:

أولاً: إن الولايات المتحدة الأمريكية تقود المعسكر الغربي اليوم في معركة السيطرة على العالم وبالذات العالم الثالث الذي يشكل المسلمون فيه الثقل الاستراتيجي.. ولا يبالغ المرء حينما يقول إن المعركة مع رأس الحربة الاستعمارية الصليبية الجديدة تتطلب معرفة دقيقة تتعدى الخطب الإنشائية والعبارات الرنانة نحو فهم علمي وواقعي لهذه القوة الدولية، وهذه المعرفة وتلك الدراسة ستكشف لنا لا محالة عن نواحي القوة والضعف كما ستعري لنا التناقضات الحادة التي تعصف بهذه الكيانات والتي تفسر لنا كثيراً من الظواهر التي تبدو في عداد الأحاجي والألغاز، كما تسمح لنا باستغلال نقاط التناقض والضعف في إدارة الصراع.

ثانياً: لا يشك عاقل في أن الكيانات السياسية الهشة في العالم الإسلامي تعاني من أزمة هوية ومأزق انتماء تجعلها تستمد شرعيتها واستمرارها من التسول على موائد

الغرب المنتصر.. مما يدفعها لمواجهة التحدي الحقيقي لها والمتمثل في الطرح الإسلامي ممثلاً في الحركات الإسلامية والتي على الرغم من نواحي الضعف فيها والقصور تظل تشكل البديل الأقوى والضمير النابض للأمة لانتشالها من أزمة الانتماء والهوية.. من هنا أخذت وسائل الإعلام برمي الدعاة بتلك التهم المتكررة والإسطوانة المشروخة التي تعزف على لحن التطرف، والأصولية، والرجعية.. وأخواتها.

والذين يرمون الدعاة بهذه التهم استعاروا مصطلحات الغرب وأساليبه في التعامل مع الظاهرة الدينية، ولفهم طبيعة تلك المصطلحات ينبغي أن نفهم ما تعنيه تلك الكلمات في القاموس الغربي حتى ندرك مدى الجريمة التي يرتكبها الظالمون في بلادنا عندما يصفون ظاهرة أصيلة راسخة في كيان الأمة بأدوات غربية ومختلفة استعاروها من سادتهم الغربيين، إن حالهم يشبه المثل القائل (نفخت في غير ضرم) والذي يضرب لمن يضع الشيء في غير موضعه كمن ينفخ بالنار في مكان لا نار فيه.. فإن كانت ظاهرة الأصولية والحرفية في المجتمع الغربي مثيرة للحيرة ومناقضة للفطرة وللمعيار العلمي والواقعي.. فإن هذه الظاهرة مختلفة تماماً في مجتمعاتنا الإسلامية كما سيتبين معنا في البحث.

ثالثاً: إن عودة الواجهة اليمينية إلى القيادة مرة أخرى تمثل صورة من هزيمة الشعارات اليسارية التي تشهدها الساحة العالمية.. إن انحسار اليسار في معاقل الشيوعية الأصلية كالصين وروسيا أمر مشاهد، كما أن تراجع الأحزاب اليسارية والاشتراكية في أوربا الغربية حقيقة واقعة.. حتى في الحالة الفرنسية التي تراجع فيها الاشتراكيون في كثير من النظريات اليسارية لتستبدل في كثير من الأحيان بواقع لا يبعد كثيراً عن شعارات اليمين.. هذه الحقائق تنسحب على الساحة الأمريكية أيضاً، فمنذ الحرب العالمية الثانية كانت شعارات التحرر المصبوغة بشعارات يسارية - تناسب العقلية الأمريكية الرأسمالية - هي عصب التحرك السياسي والاجتماعي، وبعد إفلاس هذه الشعارات خصوصاً في عقد السبعينات الذي شهد تراكم الهزائم الأمريكية على ساحات متعددة بدت الفرصة سانحة لليمين لأن يعود بقوة بقيادة نجمه الصاعد انذاك: رونالد ريغان.

رابعاً: يظل الإنسان في معظم الظروف والأحيان مخلوقاً يبحث عن الحل والخلاص.. وها هو الإنسان الأمريكي اليوم يبحث عن الخلاص على أيدي المحافظين الجدد بعد أن شهد تفاهة الشعارات اليسارية وفشلها في تقديم الحل الذي ينشده. ولن يمضي الكثير من الوقت حتى يكتشف هذا الإنسان التعيس فداحة الخطأ الذي ارتكبه وتساوي المنهجين في الضياع والتيه.

إن هذه الظلمات المتراكمة على العقل الغربي والأمريكي بوجه خاص جعلته مقفلاً عن نور الهداية وضياء الحق.. ذلك أنه يشعر أن الخلاص لا يكون سوى في إطار الاجتهاد أما ما عدا ذلك فلا يستحق حتى مجرد الدراسة لا سيما إذا عرفنا واقع البديل لتلك الحضارة الغربية.. ونعني الإسلام.. إن الغرب بشقيه الرأسمالي وابنه التعيس الشقي العالم الشيوعي يظل يلوك تلك النظريات بصورة متسلسلة رافضاً الخروج عن ذلك الإطار لدوافع متعددة لعل أهمها العقلية الصليبية المغروسة في النفوس لا شعورياً، وضعف الواقع الإسلامي وسيطرة النزعة المادية في الغرب والتي ترى في العالم الإسلامي منجماً للمواد الخام وسوقاً مفتوحاً للسلع والبضائع.

خامساً: تقود الولايات المتحدة اليوم المعسكر الغربي وتشكل قوته الرئيسية في جميع النواحي، ولا يمكن لعاقل ينظر إلى واقع المسلمين اليوم إلا أن يدهش من حالة الإعاقة والضعف الذي تعيشها المجتمعات الإسلامية، وبتسليمنا بأهمية العامل الداخلي في حالة التردي الراهنة فإننا في الوقت ذاته نشعر بحجم الجريمة التي ارتكبها الغرب بحق المسلمين في هذا العصر الحاضر..، فمنذ غزو نابليون وحتى الآن ظل الغرب هو القوة الرئيسية التي تسلطت على رقابنا وخططت بخبث للوصول إلى الوضع الراهن.. وما مشكلة فلسطين، ولا التقسيم السياسي المصطنع للكيانات (الكرتونية)، ولا السيطرة العلمانية وتنحية هوية الأمة عن القيادة سوى بعض جرائم هذا الغرب الذي ربى جيلاً من الأذناب والذيول لكي يقوموا بإعطائها الصيغة المحلية..

واليوم تموج الساحة الأمريكية بقوى جديدة وأخرى عتيقة لها اهتمام خاص بمنطقتنا الإسلامية لدوافع شتى، ومعرفة هذه القوى وبرامجها ومخططاتها نحو بقاعنا هو أمر يدخل في باب الواجب حتى لا نلدغ من قبل العقارب الامريكية مرة أخرى، ولا نتخدر بعبارات الود والصداقة، ولا ننام على أحلام الحرية والخير التي تحاول أن تضخمها في عقولنا وسائل الإعلام المأجورة في الوقت الذي يخطط أصحاب القرار والقوى السياسية مخططات لا تقل شؤماً عن خرائط سايكس بيكو، ولا لؤماً عن وعود بلفور وتشرشل.

وبعد فهذه المقدمة التي لا بد منها للدخول إلى الموضوع، وهو دراسة خارطة القوى المؤثرة على القرار في أمريكا، وسنبدأ بقوى اليمين المحافظ ثم نعرج على القوى الأخرى حسب تأثيرها وثقلها في الساحة، وحسب نظرتها إلى العالم الإسلامي بصورة خاصة.

الأصوليون الجدد

ما هي الأصولية؟:

يعرف معجم أكسفورد لفظ الأصولية او (Fundamentalism) بأنه مذهب العصمة الحرفية والقائم على أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ لا في القضايا العقدية والأخلاقية فحسب بل في كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب كقضية الخلق، وولادة المسيح من

مريم العذراء ومجيئه إلى العالم ثانية، وهذا المذهب متفرع عن البروستانتيه وشهدت نمواً في بداية القرن (1).

أما دائرة المعارف البريطانية فتعرفها على أنها حركة محافظة ظهرت في صفوف البروتستانتية الأمريكية والتي تؤمن (بالألفية) وهي الألف عام الذي سيرجع فيه المسيح ليحكم الأرض، وتركز على حرفية النص الإنجيلي والأخذ بظاهره دون تفسير، وقدسية النص وخلاصه من التفسير البشري، كما تؤمن بأن الانجيل مفسر لكل قضايا الحياة والغيب بشكل خاص كرجعة المسيح، وولادته من مريم العذراء، والبعث بعد الموت، وتكفير المسيح لخطايا البشر بموته... (2) (تعالى الله عما يقولون).

وتعرفها دائرة المعارف الأمريكية بأنها حركة (ألفية) بروستانتية محافظة شهدت انتعاشاً في بداية القرن الحالي لمواجهة (الحداثة) و(العلمية) التي ألغت قدسية الإنجيل وتقوم على مبدأ حرفية النص وقداسته، وتكريم الله للإنسان بخلقه بأمره المباشر، وبعودة الإيمان إلى البشر بعد كفرهم (3).

خلفية تاريخية:

في بداية القرن التاسع عشر شهدت فكرة عودة المسيح إلى الأرض وحكمه لها لألف عام رواجاً بين سكان الولايات المتحدة الذين كانوا يدينون بالمذهب البروتستانتي في غالبهم بحكم هجراتهم من مناطق ينتشر فيها هذا المذهب في أوربا، وبين عام 1830-1840م اخذت هذه الأفكار في التبلور والتركيز على أيدي (مجتهدين) شكلوا مجمع نياجرا الإنجيلي بقيادة جامش انجلز المبشر الأمريكي. وأخذت هذه الحركة في النمو على أيدي مجموعة من المبشرين الذين أخذوا ينشطون في بداية القرن لا سيما وقد شعروا بتدفق أصحاب العقائد الأخرى على الأرض الأمريكية خصوصاً الكاثوليك واليهود بالإضافة إلى ظهور فريق (المبشرين التحررين) الذين أخذوا في انتقاد النص الإنجيلي وإخضاعه للدراسة، وشهدت الأعوام من 1880-1898 تحولاً اجتماعياً تمثل في الإضطرابات العمالية، والتململ الاجتماعي وارتفاع معدل الهجرة الكاثولكية مما أكسب الحركة المحافظة مزيداً من الأتباع.. أخذوا في نشر فكر المذهب من خلال رسائل لعل أهمها (الأصولية)Fundamentelism ( )وهي سلسلة من 12 حلقة تناقش أسس المذهب ووزعت بكميات هائلة بين الأعوام 1909 - 1915، وفي ذات الفترة أخذت نزعة (العصرنة)، تغزو صفوف الحركة مما دفعها للانقسام إلى فريق محافظ وآخر متحرر، لا سيما ان العصرنة والعقلانية والتحررية أخذت تحتل مواقع متقدمة في التفكير والقرار على مختلف الأصعدة بما فيها الكنيسة.

ولمواجهة ذلك عقدت الحركة المحافظة عدة مؤتمرات لمناقشة سبل المواجهة لاسيما بعد أن وضعت الحرب الكونية الأولى أوزارها، وانتهت بتشكيل رابطة العالم المسيحي الأصولي عام 1919م، واستمرت هذه المنظمة في تسيير أعمال الحركة الأصولية لمدة ثلاثين عاماً، وفي تلك الأثناء أخذت الانقسامات تتسع في صفوف الحركة كما أن التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية أخذت تضغط بقوة على الشعب الأمريكي في سنوات ما بعد الحرب الأولى والتي ابتعدت منها أمريكا عن ويلات الحرب ومآسيها لكنها لم تسلم من تأثيرها على مشاعر الناس مما دفع الحركة للخوض في النقاش المطروح حول المسائل الواقعية بعد أن كانت محصورة في المسائل الدينية حيث تبنت الحركة (العزلة) وعدم التدخل في الشؤون الدولية وتعقيداتها..

لقد كانت الحركة تمر في مرحلة مد وجزر، ولم تتعد مناهجها أسلوب رد الفعل لتترك أساليب المبادرة للتيار الزاحف بقوة.. تيار التحرر والعصرنة، وأوضح مثال لذلك القضية العلمية المتمثلة في مذهب داروين والذي يمس أهم ركائز المذهب الأصولي، فقد شهدت الأعوام الأولى من هذا القرن نمواً مطرداً لتبني هذه النظرية حتى داخل الكنيسة نفسها، ونشطت الحركة الأصولية في محاربة هذه النظرية كرد فعل لانتشارها، وجندت كل الوسائل لمنع تدريسها واستطاع الأصوليون منع تدريس النظرية في بعض الولايات بموجب قانون يعاقب من ينشرها.. وحينما تحدى جون سكويس، مدرس العلوم بولاية تنسي هذا القانون أدين من قبل المحكمة لينتصر التيار المحافظ في معركة جزئية أمام تيار العصرنة.. ولكن ينعقد في ذات الوقت تأييد الجمهور المتأثر برياح الليبرالية والتحرر العاتية.

ومما يدل على حجم هذا الإعصار التحرري أن هذه النظرية المنبوذة من قبل أكثرية السكان وحتى المؤسسة السياسية في واشنطن استطاعت أن تجد طريقها نحو المناهج الدراسية في سنوات قليلة على أنها النظرية الوحيدة لأصل الإنسان، ولم يكن ذلك التاريخ بعيداً عندما رفع الرئيس الأمريكي غروفر كليفلاند (4) صوته احتجاجاً على النظرية قائلاً: (الإنجيل كاف بالنسبة لي إنه الكتاب الذي نشأت بين أحضانه، لا أريد نظرات تحليلية لأصل الإنسان وتطوره، لست بحاجة لها أصلاً، فضلاً على أنها تصيبني بالدوار).

وخلال الثلاثينات والأربعينات، من هذا القرن عصفت بأمريكا كوارث الأزمة الاقتصادية في بداية الثلاثينات وما تبعها من كساد اقتصادي ولهاث وراء لقمة العيش، وأصبح الإله الجديد (الدولار) هو معبود الغالبية، كما شهدت تلك الفترة تدفق المهاجرين من كافة الأقطار والمذاهب بعد أن كانت الهجرة تكاد تنحصر في الأوربيين، ولم تسلم أمريكا هذه المرة من ويلات الحرب ونفقاتها - مثل المرة الأولى - وإن كان بصورة جزئية.. ذلك أن أجواء الحرب خيمت على الشارع الأمريكي بصورة أعمق وجعلت الشعب الأمريكي يخرج من عزلته الطويلة.. كل هذه الأحداث تزامنت مع نمو مطرد للشعارات

التحررية وتنح متزامن للأصوليين وشعاراتهم من الساحة الأمريكية، وفي الخمسينيات برز الخطر الشيوعي الخارجي كتحد لليمين الذي تمثل أمريكا معقله، وكانت تلك فرصة أخرى للأصوليين للعودة إلى الساحة لمحاربة الشرق الملحد الذي يتربص بأمريكا الخيرة..كما شهدت نفس الفترة انتصار الليبرالية بشعارات المساواة والحرية والإنسانية والتي تبنت حقوق الأقليات في الظلم الماحق الذي ساوى بين الزنوج والحيوانات.

ولا شك أن ذلك الظلم أمر يخالف الدين الحق، والخلق والمنطق.. ووجوده كان حقاً لا مراء في ذلك، لكن هذه الشعارات كانت بمثابة حق يراد به باطل حيث استطاعت الأقليات المنظمة والغنية - وعلى رأسها اليهود - أن تفسح لها الطريق للسيطرة على المؤسسات الرسمية والشعبية، وعلى رأسها الحزب الديمقراطي الذي كان يقود المعركة في هذا الاتجاه.

هوامش:

1- معجم أكسفورد.
2- دائر المعارض البريطانية/ 50.
3- دائر المعارف الأمريكية/ 165.
4- الرئيس الأمريكي الثاني والعشرين 185 - 1889، والرابع والعشرين بعد إعادة انتخابه 18

افتتاحية العدد
طبيعة هذه المرحلة
في مسيرة الدعوة الاسلامية

هذا هو أول عدد من مجلة (السنة) يصدر بعد انتخابات المجالس البلدية والولائية في الجزائر، وكانت نتائج هذه الانتخابات قد اكدت ان اكثرية الشعب الجزائري المجاهد يريد الحل الاسلامي، ولا يقبل بديلا غيره، ولهذا فقد اختار الجبهة الإسلامية للإنقاذ، ومنحها ثقته الغالية، واصبح لزاما عليها ان تتولى قيادة العمل الإسلامي في هذا القطر العزيز الذي يكن له المسلمون في مشارق الارض ومغاربها كل حب واعجاب وتقدير.

ونود ان نؤكد لقرائنا مرة ثانية وثالثة بأننا لم نغير رأينا في الديمقراطية، وما زلنا نقول: ليست هذه هي الوسيلة الفعالة من اجل ان يكون الدين كله لله في حياة المسلمين، ولا يجوز للاكثرية في بلد اسلامي ولو بلغت اكثر من 90% ان تختار غير شريعة الله، وهذه مسألة غير قابلة للمفاوضة او المساومة، وإذا كانت فريضة الصلاة والصيام والزكاة والحج غير قابلة لمبدأ التصويت من اجل اقرارها فكذلك رجم الزاني وقطع يد السارق وغير ذلك من الاحكام والشرائع والأصول.

ان التشريع حق من حقوق الله، ومن شرّع فقد اتخذ من نفسه ندا لله، قال تعالى:

(فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (النساء/65).

وقال: (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به) (النساء/60(.

وقال: (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) (الأنعام/62).

وقال: (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) (يوسف/67).

غير أن الذي أحيا الأمل في نفوسنا: هو التفاف الدعاة والجماعات الإسلامية وجماهير الأمة حول الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وهذا النوع من التعاون والتأييد الكامل نعلق عليه آمالاً واسعة، ويبشر بعد مشرق، ونريد له ان يتجاوز الانتخابات لما هو أهم وأشمل.

ومن جهة اخرى فقد كان قادة الجبهة الإسلامية على درجة عالية من الوعي عندما قالوا للجماهير المحتشدة في احتفالاتهم التي سبقت الانتخابات بأيام قليلة:

لا نريد ان نكون جزءاً من الحزب الحاكم، ولا نرضى غير الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة.. وكنا نعلم من واقع معرفتنا لهم انهم جادون فيما يقولون، وهذا ما يميزهم عن غيرهم الذين لا تعدو مطالبهم تعديل مادة من الدستور وبعض مواد القانون المدني، ومن اجل ذلك يسقطون في اوحال الديمقراطية، ويقفون مواقف فيها كثير من الضعف والتردد، ويصعب في كثير من الحالات تمييزهم عن غيرهم من السياسيين العلمانيين.

وانطلاقا من قناعتنا وموقفنا الثابت من الانتخابات فإننا لا نعتقد ان الطريق الى الحكم اصبح معبدا امام الجبهة الاسلامية للإنقاذ بعد حصولها على الاكثرية في الانتخابات الاولى، لأن الشيطان واحزابه واعوانه لن ينسحبوا من المعركة بيسر وسهولة، ولن يتوانوا في استخدام كافة الوسائل التي تمكنهم من زعزعة الصف الإسلامي، ولا يزال اماماهم كثير من البدائل، ومنها:

- الاعتماد على كفاءات جديدة في الحزب الحاكم، وكانوا قبل الانتخابات قد استنفروا العناصر القديمة فاجتمع النقيض وضده، وثبت ان هذه التجربة فاشلة، فلا بد من وسيلة اخرى.

- الاحزاب العلمانية المعارضة ما فتئت تسعى الى إقامة جبهة عريضة هدفها مواجهة المد الاسلامي - هكذا يصرحون ومن غير خجل ولا حياء - فليس هدفهم حل مشكلة البطالة، وإصلاح الاقتصاد وغير ذلك من الشعارات التي يجترونها، وانما هدفهم مواجهة المد الاسلامي. قال ابن بلا(قد حانت اللحظة لتشكيل جبهة من كافة القوى الديمقراطية تحت راية واحدة، واضاف بان دعوة حسين آية احمد لتشكيل جبهة ديمقراطية عريضة تضم كافة الاحزاب هي الوسيلة الناجعة لخير الشعب الجزائري والتخلص من التطرف الديني).

- تشير بعض الدوائر السياسية الى وجود مفاوضات بين الحزب الحاكم، والاحزاب العلمانية المعارضة، وقد يضحي الحزب الحاكم ببعض رموزه القديمة - لانه اصل خلاف حسين اية احمد مع جبهة التحرير - من اجل قيام جبهة واسعة هدفها مواجهة الخطر الذي يهددهم - اي تحكيم شرع الله - وقد يتم الاعلان عن هذه الجبهة وقد تبقى سرية وهذا هو الارجح.

ومن هذه القرائن على وجود هذه المفاوضات وتقدمها انسحاب وزراء الحكومة من المكتب السياسي.

وهناك تنسيق اكيد بين فصائل الشيطان داخل الجزائر وخارجها، ويكفينا أدلة على ذلك مسلسل الزيارات الرسمية ابتداء بالمغرب وانتهاء بامريكا، ويستطيع كل من يرصد الاحداث ان يتابع اهداف هذه الزيارات، ويحلل تصريحات كبار المسؤولين او الصحف الرسمية وشبه الرسمية في هذه الدول، ومن الطريف ان نستعرض العناوين التالية:

- البحث عن ديمقراطية من دون الإسلاميين!!

- كيف يواجه اتحاد المغرب العربي تنامي المد الأصولي - أي الاسلامي - ؟!

- خميني آخر في الجزائر.

- (هناك مؤشرات على ان فرنسا تشعر بقلق عميق بشأن احتمال سيطرة المسلمين الاصوليين على مقاليد الامور في الجزائر). وزير الخارجية الفرنسي.

والذين يدلون بهذه التصريحات يعلمون ان الجزائر غير ايران، والسنة ليسوا كالشيعة، ومدني ليس كالخميني، ويعلمون ايضا ان الاسلاميين في الجزائر وغيرها من معظم بلدان العالم الاسلامي كانوا هدفا للارهاب والقهر والهمجية.. انهم يعلمون هذا وغيره، ولكنهم يتجاهلون الحقائق ويقلبون الموازين، ولا يخجلون من التزوير والتلفيق.

إن الإخوة الذين نجحوا في الانتخابات البلدية والولائية احسوا بحرج عندما تولوا مهام اعمالهم لأن كثيرا من الانجازات التي ينوون تحقيقها مرتبطة بالمجالس العليا التي ما تزال الدولة تمتلكها، ويضاف الى هذا تحديات سفهاء الحزب الحاكم وبقية الاحزاب لهم.. وها هنا تتضح معالم الخطة الخبيثة المبيتة، فالذين خسروا ثقة الشعب يريدون استدراج الاسلاميين الى معارك جانبية تمهد لتدخل الجيش وقوات الامن، فهم بحق يبحثون عن ديمقراطية صورية ليس للإسلاميين نصيب فيها.

والقادة الاسلاميون يواجهون كذلك حدة من جانب الشباب الدعاة الذين يتمسكون بقول عمر بن الخطاب في صلح الحديبية (كيف نرضى الدنية في ديننا(وينسون ندم ابن الخطاب رضي الله عنه على هذا الموقف ومسارعته الى

قبول امر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رحم الله شيخ الجزائر - محمد البشير الإبراهيمي - لقد واجهت جمعية العلماء في تاريخها مواقف كهذا الموقف، وكان يواجه الاعداء داخل الجزائر وخارجها بقوة اسلوبه وصراحته المعهودة، ويكثر من الاستدلال بقول الشاعر:

تجمعتم من كل صوب وتلعة

على واحد، لا زلتم قرن واحد

إن معركة الدعاة والجماعات الاسلامية مع الشيطان واحزابه بدأت بداية جادة بعد الانتخابات الاولى، والخطأ اليسير قد تنتج عنه اضرار فادحة يصعب تداركها، ولا بد ان يستفيد اخواننا في الجزائر من تجارب اخوانهم في البلدان الاخرى، ومن اجل ذلك نتقدم اليهم بالنصائح التالية التي تحدد طبيعة هذه المرحلة في مسيرة الدعوة الإسلامية.

اولاً - حذار من الانغماس في اوحال الديمقراطية

مما اجتهده إخواننا في الجزائر: خوض المعارك الانتخابية الاولى والثانية، واوضحوا هدفهم من هذا الاجتهاد فقالوا: بأنهم يريدون تطبيق شرع الله، ورفضوا ان يكونوا مؤسسة من مؤسسات النظام القائم.

ومما يجب ان يحذره الاخوة هنا: الانغماس في اوحال الديمقراطية، كما انغمس فيها اخوان لهم من قبل لا

سيما وان هناك اصواتا ترتفع زاعمة ان تجربة هؤلاء قد نجحت وأثمرت، وانهم بلغوا مستوى سياسيا راقيا لم يبلغه احد من الاسلاميين في العصر الحديث.

وحتى يعلم القارئ مدى انحراف اصحاب هذه التجربة فإننا نستعرض فيما يلي بعض الشعارات التي يرددوها والاجتهادات التي توصلوا اليها:

- جواز تعدد الاحزاب في ظل النظام الاسلامي، وقد لا نختلف معهم كثيرا على جواز تعدد الاحزاب ذات الصبغة الاسلامية، ولكن الخلاف معهم في قولهم بجواز تعدد الاحزاب الجاهلية المرتدة: كالشيوعية، والبعثية، والناصرية، والرأسمالية، وغير ذلك.

- أفتوا بجواز التحالف مع هذا الاحزاب الجاهلية المرتدة، وهناك جبهات وطنية يشاركون فيها، في حين لا نرى لهم جهدا فعالا مع الجماعات الاسلامية.

- يقدمون ما توصلت اليه عقولهم المنحرفة على النقل الصحيح - أي على احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - .

- أفتى بعضهم بالغاء حد الرجم لانهم لم يجدوا عليه دليلا من القرآن الكريم، والسنة عندهم لا تكفي مهما كانت درجتها من الصحة. ويزداد انحرافهم كلما ازدادوا تمرسا في اللعبة الديمقراطية.. وهكذا يبدأ خط الانحراف صغيرا، ثم يأخذ في الاتساع حتى يصل سالكوه الى نقطة يصعب بعدها العودة الى معين الاسلام الصافي العذب.

ألا فليثبت اخواننا في الجزائر على الهدف الذي رسموه لانفسهم، ولا نريد ان تتحول الوسيلة عندهم الى غاية، وليعلموا ان الانحراف عن النهج الاسلامي ليس نجاحا وانما هو مراوغة وتضليل وعبث وان حقق رواده بعض المكاسب السياسية الدنيوية: كالوصول الى بعض الوزارات، وتعامل الظالمين مع اصحاب هذا النهج، وبروز اسمائهم في وسائل الاعلام.

فإذا دخل اخواننا المجالس النيابية ورفضت الاكثرية تحكيم شرع الله فلينسحبوا من هذه المجالس وليذكروا للمواطنين الاسباب التي دعتهم الى اتخاذ مثل هذا الموقف، وان وجودهم لم يعد له مسوغ.. وعندئذ سيعلم الشعب انكم لستم طلاب مناصب ومكاسب، وانكم لن تترددوا في التنازل عن اي مكسب من اجل الهدف الذي رسمتموه لأنفسكم. وإذا اتهمكم الآخرون بمخالفة اصول اللعبة الديمقراطية، ومخالفة الدستور والقوانين فقولوا لهم: هذا بلد يدين شعبه بالإسلام، ولا طاعة

لمخلوق في معصية الخالق، ولا نقبل قانونا يخالف ديننا وعقيدتنا.

لقد بدأنا نسمع ان زيدا من الناس يقول في العلن بجواز تعدد الاحزاب كالشيوعية وغيرها، وعندما يقال له: كيف تقول ذلك؟ يكون رده: لن يجد اصحاب هذه الاحزاب اتباعا في ظل تحكيم شريعة الاسلام… وهذا موقف خاطئ، فالمنافقون كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان لهم اتباع، ومن سنن الله في خلقه ان يستمر دور الشيطان، وانصاره يقلون تارة ويكثرون تارة اخرى، فليحذر هذا الاخ من قوله تعالى: (ودوا لو تدهن فيدهنون) (القلم/9).

وإذا كان غيرنا يتخذ من العمل البرلماني جسرا يوصلهم الى محطة اخرى يلبسون فيها ثياب النمور، ويسلطون سيوفهم على رقاب الناس. فليتخذ إخواننا من العمل البرلماني جسرا يوصلهم الى محطة اخرى يستبدلون مبدأ الشورى بغثاء الديمقراطية، ليصبح الناس سواسة كأسنان المشط.

ثانياً ـ حذار من استخدام السلاح:

الجهاد فرض من فروض الاسلام، ولن يعود المسلمون خير امة اخرجت للناس الا اذا ارتفعت راية الجهاد خفاقة عالية، ومن جحد فرضية الجهاد فهو مرتد عن الإسلام.

فنحن إذن لا نتحدث عن الجهاد الشرعي، وإنما نتحدث عن اعمال لجأ اليها الشباب وظنوها جهادا، واتهموا كل من يخالفهم بمختلف انواع الاتهامات.

وإذا ألقينا نظرة عاجلة على التاريخ الإسلامي الحديث تبين لنا ان المواقف المتسرعة التي وقفها الشباب الدعاة قد أضرت بالعمل الإسلامي واستفاد منها أعداء الإسلام. فوائد يعجز عنها الوصف… ومن الأمثلة الكثيرة على ذلك محاولة اغتيال جمال عبد الناصر.

لقد بات من المؤكد ان قيادة الاخوان المسلمين لا علاقة لهم بهذه المحاولة، ولم يأمروا بها، وموضع الخلاف بين المؤرخين المنصفين حول هذا الحادث: هل كان لجمال عبد الناصر دور في هذه المسرحيةٍ، ام هي تصرف فردي لا يتجاوز)هنداوي دوير(وأفراداً آخرين.

ومما لا خلاف عليه ايضا ان هذه المحاولة كانت نقطة تحول في تاريخ مصر، وهي من اهم الاسباب التي صنعت زعامة جمال عبد الناصر وحلفائه البعثيين.

ان المجموعات التي تخطط لهذه الاعمال قد جانبها الصواب، وخالفها التوفيق والسداد. وإن المرء ليعجب من العقلية التي يفكرون بها: فتارة يقولون بجواز قتل الشرطة والجند ويرون ان المقتولين يحشرون على نياتهم، ويتوهمون ان شيخ الاسلام ابن تيمية افتى بمثل هذا عند غزو التتار لبلاد الشام، وتارة اخرى يقولون: ان الشرطة والجند ورجال الامن كفار مرتدون، ودليلهم على ذلك قوله تعالى: (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) (القصص/8).

هكذا يعزلون النص عن أسبابه، ويفسرونه كما يشاؤون، ويهملون اقوال كبار الأئمة المحققين، ويتجاهلون النصوص الاخرى التي تخصص معنى هذا النص وتقيده، وفضلاً عن هذا وذاك فهم ليسوا من اهل الفتوى، ولا يجوز لهم ان يخوضوا في مثل هذه الامور.

والاخطر من ذلك: اعتماد هؤلاء على السرية المطلقة، واستدراجهم الشباب الى المهالك لان طاعتهم من طاعة الله ورسوله،ومعصيتهم هلاك - كما يدعون - .

لقد اعجبنا رد قادة الجبهة الاسلامية للإنقاذ على احد هؤلاء المتسرعين الذي اصدر تصريحا لصحيفة فرنسية باسم الجبهة الاسلامية وعد فيه بإعلان الجهاد لتحرير الجزائر، وما اكتفى قادة الجبهة بتكذيبه في الصحيفة نفسها، بل رفعوا دعوى ضده، وكرروا هذا الموقف في حوادث ماثلة فأثبتوا - جزاهم الله خيرا - بانهم متنبهون لطبيعة هذه المرحلة، ولن يسمحوا لنفر من الشباب بممارسة دور سلبي في الجزائر، ولن يقبلوا ان يستدرج الاسلاميون الى معركة خاسرة.

اما الذين يهددون بتدخل الجيش واستخدامه ضد الدعاة والجماعات الاسلامية، فعليهم ان يتذكروا جيدا ان الجيش من هذا الشعب المسلم، وقد ولى الزمن الذي كان فيه الظالمون يستخدمون الجند كما يستخدمون متاعا من امتعتهم.

إن الواجب يحتم على الاسلاميين ان يهتموا باخوانهم العسكريين، ويكثفوا الاتصال بهم بصورة مباشرة او عن طريق آبائهم وإخوانهم وأبنائهم وأقربائهم.

وهناك امور كثيرة يجب ان يفهمها الجندي، منها: حقيقة دوره ومتى يكون هذا الدور شرعيا ومتى يكون حراما وإثماً، وهل يجوز تنفيذ اوامر القائد إذا كانت تخالف ما أمر الله به.

ثالثاً -العمل الجاد من أجل توحيد الدعاة والجماعات الإسلامية:

إن العمل من أجل توحيد الدعاة والجماعات الإسلاميةٍ واجب شرعي، قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (آل عمران/ 102) وبين لنا جل وعلا ان الامة المتفرقة المتخاصمة لا تستطيع الصمود أمام عدوها وإن كان أقل منها قوة وعدداً، وسوف تنهزم امام اية ضربة تتلقاها. قال جل من قائل: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (الأنفال/ 46).

ولا حاجة في هذا الموضع إلى عرض مزيد من الأدلة، لأنني قد توسعت في الحديث عن الوحدة الإسلامية واهميتها، ونشرته عل شكل حلقات في موضع آخر مجلة (السنة)، واكدت في هذا البحث ان اية جماعة إسلامية لا تستطيع تحقيق اهدافها إذا عملت وحدها وتجاهلت غيرها من الدعاة والجماعات الإسلامية.

وما أشد حاجتنا الى تدبر قصة الرجل الذي جمع اولاده عندما دنت منيته، وحمل مجموعة من العصي حاول تكسيرها وهي مجتمعة فلم يستطع، ثم كسرها امامهم واحدا بعد آخرٍ… ثم قال يوصيهم:

كونوا جميعاً يا بني اذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحاداً

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آفرادا

ومن اجل تحقيق هذه الوحدة واستمرارها لا بد من امرين:

1 - أن يلتزم القائمون عليها بمنهج رجال خير القرون، وهو الحق الذي لا يجوز مخالفته او اختيار غيره، فإن أية جماعة لا تستطيع ان تلزم الآخرين باجتهاداتها ومواقفها، ولكن الجميع لا يجوز لهم مخالفة ما اجمع عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

2 - لا بد من محاسبة الضمائر، والتحرر من العصبية الحزبية، وامتلاء القلوب بتقوى الله، وتربية الناشئة على هذه المعاني الطيبة.

وعندٍما توحدت كلمة الإسلاميين في الجزائر حققوا نجاحاً في الانتخابات الأولى لم يسبقوا اليه، ونرجوا ان يكون هذا التعاون في المستقبل اقوى وأمتن.

ولا ينبغي ان يكون هناك حياد في هذه المسألة، فمن رأى مجموعة من الدعاة تتحالف مع الظالمين، وتحاول

إلحاق الضرر بإخوانها فعليه ان يتخذ منهم موقفا ليس فيه ميوعة ولا مجاملة، والحد الأدنى لهذا الموقف مواجهتهم بالحسنى فإن أصروا فعليه ان يعتزلهم ويحذر منهم.

وأخيراً: هذه هي اهم معالم هذه المرحلة وليس كلها، والله نسأل ان يجعلنا من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

مناقشة شبهات المتحالفين
مع العلمانيين والمرتدين

محمد سرور بن نايف زين العابدين

مقدمة منهجية
وتشمل الموضوعات التالية:

- **ظواهر غريبة في التفكير الإسلامي الحديث**
- **في المنهج الصحيح للاستدلال الشرعي**
- **أصول ضرورية لدراسة السيرة النبوية**

ظواهر غريبة في التفكير الإسلامي الحديث

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وحجة الله على خلقه أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، واهتدى بهديه، وبعد:

فلقد كان علماء السلف الصالح من هذه الأمة أورع الناس عن الفتيا، مع ما وهبهم الله من علم وفهم، حتى أن الرجل ليلتمس منهم المسألة فلا يزالون يتدافعون الإجابة عنها حتى يعود السائل الى أول مسؤول.

وكانوا كذلك أصدق الناس نقلاً، وأشدهم تحرياً وتثبتاً فيما يقولون أو ينقلون، حتى أن أحدهم يسأل فيجيب بما بلغه من النقل من حفظه المجرد ولا يزيد

عليه تعليلاً ولا إيضاحاً ولا يدلي برأيه التفسيري فيما نقل، اتهاماً لرأيه أن يكون فهم النص على غير وجهه، ولو كان ذلك في مسألة من مسائل الفروع. يتورعون عن ذلك وهم اصدق الناس فهماً وأصفاهم ذهناً وأعلمهم بمقاصد الشارع ومرامي الأدلة. أما بعض المنسوبين للفكر الإسلامي في عصرنا الحاضر فليسوا من هذا المنهج في شيء. فإنك تجد فيهم الجرأة العجيبة على الفتيا، والتعسف المدهش في الاستدلال، والمجازفة في إصدار الأحكام.
أما منهجهم في توثيق ما يقولون او ينقلون فعجيب لأنهم:
1 – إما أن لا يرجعوا الى المصادر أصلاً بل يقولون: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم..
وقال العالم الفلاني... وورد في الحديث الشريف... وحصل في التاريخ الإسلامي... الخ. فقط.
2 – وإما ان يكونوا واثقين من أن القضية الخطيرة التي يتحدثون عنها لا سلف لهم فيها ولا دليل، ولكن الناس سينكرون عليهم ذلك ويطالبونهم بالأدلة فحينئذ يقولون: (وقد قال بعض الفقهاء) و(قديماً فعل بعض العلماء..) وأنى لك ان تعرف هذا البعض او تدري ما الذي قاله ومتى؟
3 – إن رجعوا الى الأصول فهم ينقلون من مختصرات المحدثين وحواشي المتأخرين مع ان الأصول بين أيديهم، فيعتمدون في السيرة مثلاً على الرحيق المختوم او تهذيب عبد السلام هارون ويهملون اصل سيرة ابن إسحاق فضلاً عما في البخاري وغيره.
4 – إن رجعوا الى الأصول – وما أقل ذلك – فلا تحقيق ولا تمحيص وإنما يأخذون ما وافق الفكرة المعدة سلفاً، ويضيفون اليه من خيالهم المحض ما بدا لهم من انشائيات فتأتي كتاباتهم مهلهلة النسج كثيرة الحشو لا يثق فيها إلا من كان على شاكلتهم في جهل المنهج الصحيح او عدم التزامه.
وفضلاً عن ذلك فلهم طريقة غريبة في طرح قناعاتهم السياسية التي تخالف ما فطر عليه الشباب الدعاة، وما تربوا عليه.
ففي بداية الثمانينات كان كثير من هؤلاء القادة في بلاد الشام مقتنعين بوجوب إقامة جبهة وطنية تضم أحزاباً مرتدة كافرة، وكانت المفاوضات السرية بين هؤلاء وأولئك قد انتهت الى اتفاق كامل، غير ان هؤلاء القادة لا يستطيعون ان يصارحوا الشباب الدعاة بما فعلوه في الخفاء ولا بد من المرحلية في الاقناع، وان تكون هذه المرحلية على شكل دروس في التفسير والسيرة والفقه.
فكانت البداية التي يعرفها كل من عاصر هذه الأحداث في بلاد الشام، طرح بعضهم للسؤال التالي:
ما حكم توظف المسلم في النظام الكافر.. وهل شرع من قبلنا شرع لنا..
وما الحكمة في عمل يوسف عليه السلام لدى ملك مصر وهو كافر؟!.
ثم تتخذ المسألة شكلاً آخر وذلك عندما تتحول من أسئلة وخواطر إلى احاديث ومحاضرات تبدو جانبية ظاهراً او غير متناسبة الموضوعات، لكنها ذات علاقة وطيدة بالقضية حقيقة وواقعاً، فيكثر الحديث عن ضرورة الطاعة

واتهام الرأي وعن وحدة الصف وضرورته في هذه المرحلة مهما اختلفت الاجتهادات!!
وفجأة ينتقلون الى موضوعات (الضرورة) و (الظروف الاستثنائية) للحركة (ومرونة الإسلام) والتنديد بالمتطرفين واصحاب الفهم الضيق... ثم يتحولون دونما رابط ظاهري الى الإشادة بموقف الإسلاميين الذين تحالفوا مع الحاكم العسكري (جعفر النميري) في السودان، ويعقبون قائلين: أخطأنا عندما نقدنا هذا التحالف في بدايته، واثبتت التجربة ان قيادة الإسلاميين في السودان كانوا أكثر منا حنكة وأعمق تخطيطاً.
وإلى هنا ما تزال المسألة نظرية، وما يزال الشباب يجهل أبعاد هذه التصرفات، ثم يقع الاختيار على افراد لهم شأن لا بأس به في العمل الإسلامي، ويتبنون طرح القضية بجد وصراحة، وتقف القيادة موقف المتفرج.
ومن ثمرات هذه الخطة الذكية انشطار الرأي في الجماعة بين مؤيد ومعارض ولكل وزنه وحسابه.. وبعد ذلك تتخذ القيادة دور الحاكم الذي يفصل في المسألة بما شرع الله ولا تأخذه في الحق لومة لائم، ويسندون هذه المهمة الى الذين شاركوا في المفاوضات السرية مع الأحزاب المرتدة الكافرة، ويتوصل هؤلاء الى وجود أدلة شرعية تؤكد صحة هذا التحالف، ولا مجال للشك او التقاعس، ولا بد من التوكل على الله.
ويجنح بعضهم الى الخيال فيزعمون ان قادة الأحزاب المرتدة قد جاءوا الى قيادتهم يمنحونها الثقة والولاء. ويعلنون قبولهم الكامل لأحكام الإسلام وإسلامية الدولة مقابل اشتراكهم في الحكومة اشتراكاً جانبياً لا يؤثر في انتمائها الإسلامي، فهم – والقناعة طبعهم – لا يريدون سوى المقاعد في البرلمان (لأن أي دولة حديثة لا بد لها من برلمان تشريعي)، أما السياسة والتوجيه والأمور التفويضية فهي حق خالص للقيادة الإسلامية الحكيمة.
تسربت أنباء المفاوضات السرية بين أطراف الجبهة الوطنية، فغضب الشباب الإسلامي أشد الغضب، وصدمتهم هذه الأنباء لا سيما وان المتقدمين في السن منهم ما زالوا يذكرون الانتخابات التكميلية في بلاد الشام التي جرت في الخمسينيات والمصائب التي حلت بالإسلاميين من جراء التحالف مع حزب الشعب وغيره من التجمعات والهيئات اليمينية، وكان مهندس هذا التحالف ثعلب حرب الشعب المعروف الذي يتاجر بالإسلام ويتخذه سلماً له ولحزبه المشبوه.
زج ثعلب الشعب بالإسلاميين في معركة خاسرة، بعد ان زين لهم انه ليس هناك من يواجه المد الشيوعي البعثي غيرهم.
ولم ينس المتقدمون بالسن من الشباب الإسلامي ايضا الأضرار التي لحقت بهم من جراء اشتراكهم في حكومة خالد العظم، الائتلافية في أوائل الستينيات. لقد كان اليمين العلماني يقف مع اليسار العلماني في هذه الحكومة ضد وزيرين إسلاميين، اما الثالث رحمه الله، فالوزارة عنده كانت استمراراً لوظيفته السابقة وكان يحرص على النزاهة والأمانة في العمل، وينأى بنفسه عن أي صراع سياسي.

فما المصلحة إذن من تكرار تجارب ثبت فشلها وعقمها... وكيف كان بعض هؤلاء القادة يدرّسون الشباب حرمة مثل هذه الاحلاف، ويتهمون من يتورط فيها، وها هم الآن يقعون بتناقض مؤسف... وكيف يحاربون جناحاً من أجنحة حزب البعث ويتحالفون مع جناح آخر، مع ان قادة الجناح الآخر هم المؤسسون وهم الأساتذة؟!

وإذا كانت المسألة خلافاً في الاجتهاد بين علماء يملكون أدوات الاجتهاد فلماذا يقولون في الخفاء ما ينكرونه في العلن، ولماذا يسلكون هذه المرحلية المشبوهة... أوليست هذه هي المرحلية التي عامل الظالمون بها شعوبهم، وأولى خطواتها كانت إلقاء اليهود في البحر، وآخرها الاستسلام الكامل دون قيد أو شرط؟!!

وأمام غصبة الشباب العارمة اضطر القادة الى نفي هذه الاشاعات، وقالوا: إن التحالف رأي يراه بعض أهل الحل والعقد، وليس قراراً جرى تصديقه من قبل المسؤولين عن الجماعة، واقسم كبيرهم ان الأمر محض افتراء، وبعد اعلان التحالف سأله الذين سمعوا قسمه كيف تفسر موقفك؟ فأجاب: كنت صادقاً، وما كنا قد وقعنا وثيقة التحالف.

وصدّق جمهور الشباب ما قيل لهم واقتنعوا بأن ما يشاع اراجيف يروجها الخصوم لبث الفرقة بين صفوف الدعاة... وعندما كان يقال لبعضهم: كيف يكون موقفكم إذا تبين لكم ان ما يجري في الخفاء حقيقة، وأنه سيعلن عن الجبهة الوطنية قريباً، وسيجمعكم شكل تنظيمي جديد مع ميشيل عفلق وغيره من آباء جهل هذا العصر؟!

كانوا يغضبون، ويلصقون بالسائل ما يحلو لهم من التهم، ويذكرونه بتقوى الله، والانصراف الى عمل الخير بدلاً من نشره لمثل هذه السموم التي لا يستفيد منها غير أعداء الإسلام.

لم تكن عقول هؤلاء الشباب تتحمل مجرد سماع أن قادتهم يخططون لتشكيل جبهة وطنية مع حزب البعث وغيره... وعندما قام الحلف واصبح حقيقة التزموا أوامر القيادة وعضوا عليها بنواجذهم، وصار المستحيل ممكناً، وغير المعقول والمشروع معقولاً ومشروعاً.

وبالأسلوب نفسه الذي كانوا ينكرون فيه الحلف وإمكانية حدوثه... راحوا يدافعون عنه، ويثبتون شرعيته، ويندون بكل من يتعرض له بسوء، ومن الذي يجرؤ على مخالفة إجماع او جمهور فتوى علماء بلاد الشام؟!

لقد كنا نعلم حقيقة ما يجري في الخفاء، كما كنا نعلم أنه سيتم الإعلان عن الجبهة الوطنية، ولا يجوز لنا ان نقف من هذا الانحراف موقف المتفرج... فالناس يسألوننا، ويلحون في السؤال، وإذا كان هذا الأمر مشروعاً فلماذا لا نستفيد منه؟!

وانطلاقاً من الحاجة الملحة إلى بيان حكم الله في الجبهة الوطنية فقد أشرفت على إنجاز هذا البحث فكتبت القسم الأول منه (معرفة حال المتحالفين من واقع سيرتهم وسابق تاريخهم)، وكتب غيري من أهل العلم والتحقيق القسم الثاني (معرفة حكم الله في مثلهم)، ولن أقول شيئاً في مزايا هذا البحث، فالقارىء المنصف وحده هو الذي يقدر أهميته.

وبعد الانتهاء من طبعه على الآلة الكاتبة اكتفينا بنشره بين عدد محدود من الإخوة والأصدقاء، وكان عذرنا في عدم إصداره على شكل كتاب يوزع في الأسواق أننا لا نريد الدخول في مهاترات في تلك الظروف الحرجة، ولا ندعي الآن ان هذا الموقف كان أصح وأسلم من غيره ولكنه اجتهاد، ومع ذلك فقد كان موقفنا واضحاً، ولا نخفيه على كل من يتصل بنا ويسألنا.
كثرت الأحلاف فيما بعد، وهان أمر إقامة جبهات وتكتلات بين بعض الإسلاميين وبين أحزاب علمانية فاجرة، ومما يحير أولي الألباب ان هؤلاء المتحمسين لهذه الأحلاف ليس لهم جهد فعال في قيام حلف إسلامي يضم عدداً من الجماعات والهيئات الإسلامية، بل الأمر على نقيض ذلك.
وإذا كانت شبهات المتحالفين واحدة فقد ناقشنا في هذا البحث كافة هذه الشبهات واثبتنا بطلانها وفسادها، وإذن فهذا الكتاب لم يعد قاصراً على واقعة معينة او على حلف محدد دون الأحلاف الأخرى.
ومما يقتضي التنويه ان ظروف وأحوال الإسلاميين في بلاد الشام كانت متماثلة الى حد بعيد، لا فرق في ذلك بين الذين قبلوا الأحلاف وبين الذين رفضوها، فجميعهم تعرض للقتل والسجن والتعذيب والنفي والتشريد... فلا ينبغي القول: ان الضرورة ألجأت القوم الى اتخاذ مثل هذا الموقف، وضرورة الذين رفضوا الأحلاف أشد لأنهم أبوا الالتجاء الى هذا المعسكر او ذاك وسلموا أمرهم الى الله الواحد القهار.
وإنه وإن كان دافع كتابة هذه الصفحات الرد على فئة معينة، فلا تأثير لهذا الدافع في منهج البحث ونتائجه القائمة على الأسلوب العلمي الملتزم بالضوابط الشرعية، وذلك لسببين:
1 – إيماننا بأن هذا الأمر في مضمونه وشكله واسلوبه.
2 – إيماننا بأننا لا نكتبه لغيرنا فحسب بل هو لأنفسنا من باب أولى ونحن أول من يلتزم به.
اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وارنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، والحمد لله رب العالمين.

افتتاحية العدد
قل: هو من عند انفسكم
(2)

منذ أن هُدمت آخر آثار الخلافة الإسلامية عام 1924م، والدعاة الى الله يعملون من أجل توحيد العالم الإسلامي، وعودة الخلافة التي كانت رمز عزهم وقوتهم ووحدتهم، وقد اقتربوا مراراً من النصر لكنه لم يتحقق مرة واحدة خلال اكثر من ستين عاماً.

لماذا لم يتحقق النصر؟!

سؤال جدير بالعناية والاهتمام، ورغم تعرض عدد من الباحثين له، فلا يزال يحتاج الى جواب مقنع، ولن يكون مقنعاً الا اذا جاء معززاً بالأدلة الشرعية وبالشواهد العصرية الدقيقة.

إن عدد الدعاة الى الله لم يكن ضئيلاً، واستجابة جماهير الامة لهم كانت قويةً، ولم يتردد جند الله في بذل اموالهم وأرواحهم عندما دعا داعي الدعوة والجهاد، وكانت شجاعتهم مثالاً تحتذى به الأجيال.

رغم ذلك كله لم يحقق هؤلاء الأبطال أهدافهم... وشاء الله لأمر يريده أن ينهزموا شر هزيمة أمام ضابط كان محسوباً عليهم، أو أمام طائفة منبوذة تافهة ومرتدة عن الاسلام، أو أمام تجمع إقليمي يضم رعاع الناس وأوباش الخلق.

ليس مستغربا أن ينتصر المسلمون مرة وينهزموا مرتين او ثلاثا بسبب أخطائهم، أما أن تكون محاولاتهم ومعاركهم كلها هزائم، فهذا يعني أن هناك خللا يجب إصلاحه. قال تعالى:

(أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين) (آل عمران/140).

وأخطر من الهزيمة الآثار الناتجة عنها،:فالتقويمات تفتقد الدقة والموضوعية، والتعامل مع الاحداث غير مبني على أساس صحيح، وطالما سمعنا كبار قومنا يقولون: فعلنا كل ما نقدر عليه، ولكن حجم المؤامرة كان أكبر مانطاقاتنا، وغير ذلك من الأعذار التي يرددها القادة الذين انهزموا عدة هزائم أمام حفنة من اليهود.

ومن آثار هذه الهزائم تصدع الصف من داخله، لأن الخلافات التي كانت مستورةً ولا يعرفها إلا الخاصة تظهر بشكل مفاجىء، وبمنتهى العنف والقسوة، وتنقسم القيادة على نفسها، ويبدأ التجريح والتشهير، وأحياناً الضرب والقتل وسفك الدماء.

ويصاب الجند بذهول شديد، ففلان كان يوثق فلاناً، ويثني عليه، وكأنه من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واليوم يقول عنه كلاماً مناقضاً للكلام السابق فأي القولين هو الصحيح؟! والآخر يرد الصاع الصاعين، والدعوة في إجازة، ونكاد لا نجد أحداً إلا وقد سقط في أوحال الفتنة.

ويتقوقع الطيبون المخلصون من الدعاة على أنفسهم، وينسحبون من ميدان العمل الجماعي، ويشغلون أنفسهم بقضايا هامشية لا قيمة لها.. وإذا حدثت هؤلاء عن الاصلاح، وحاولت أن تشحذ عزيمته، وتثير في نفسه روح التفاؤل، رد عليك قائلا:

كنت اكثر نشاطاً وحركةً منك.. كنت أحاضر هنا، واحاور هناك، وتبين لي بعد سنين من التجارب المريرة أنني كنت ساذجاً مغفلاً، وأن الامور ليست بهذه البساطة التي كنت أتصورها، وما عدت اليوم أثق بأحد ولا أصدق أحداً.

وآخر يقول: نحن في آخر الزمان، وما من يوم الا والذي بعده أسوأ منه، ولن يصلح أمر هذه الامة الا المهدي المنتظر!! ولا يدري هذا القائل أنه قد يمر ألف عام أو أقل من ذلك أو أكثر دون أن يظهر المهدي، ولو اخذ هو وغيره بأسباب النصر، وصدقوا مع الله لغيروا هذا الواق، ولكنه اليأس الذي حذرنا الله منه.

ومع وجود هذه السلبيات فهناك صحوة اسلامية في كل مكان من عالمنا الاسلامي... وهناك جموع غفيرة من الشباب عادوا - ويعودون - الى الله سبحانه وتعالى تائبين قانتين... ولهؤلاء الرجال همم وثابة، ونفوس عالية، والخير والبركة فيهم، وقد يقول قائل: فمالنا واليائسون المنهزمون إذن؟! والجواب على ذلك من وجوه:

منها: أن عمر هذه الصحوة عقدان، ونحن نقوّم مسيرة ستة عقود.

ومنها: أن هذه الصحوة ليست الأولى، لقد سبقها أكثر من صحوة، ومن الامثلة على ذلك صحوة الخمسينات في مصر وبلاد الشام، ولم تحقق تلك الصحوة أهدافها ،لأن

أعداء الله تمكنوا بخبثهم ودهائهم من توجيه ضربة عنيفة لها، ونريد لصحوتنا الجديدة أن تتعظ وتستفيد من أخطاء الصحوة السابقة.

ومنها: أن الأمور تساس بالطريقة نفسها التي كان يساس فيها العمل الاسلامي قبل نصف قرن، وأن الجماعات اليوم أكثر عدداً، وأقل تعاوناً، ونتيجة لذلك فقد تمكن عدونا من إجهاض الصحوة الحديثة، وأقرب مثال على ذلك المصيبة التي حلت ببلاد الشام في أوائل الثمانينات.

نعود بعد ذلك إلى سؤالنا: لماذا تتكرر الهزائم رغم كثرة العطاء، والإستعداد للبذل والتضحية... ولماذا لم يستثمر الاسلاميون فرصاً ثمينةً يندر أن تتكرر؟!

سنجيب على هذا السؤال من خلال عرضنا لسنن الله في النصر.

سنن الله في النصر

اولاً -الله هو الناصر

مما يجب أن يعتقده المسلم ويؤمن به إيماناً راسخاً أن النصر من الله وحده لا شريك له. قال تعالى: (وماالنصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) (آل عمران/ 126).

وقال: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (آل عمران/160) ولا بد للذين يرجون نصر الله أن تتوفر فيهم الأمور التالية:

1 - أن يكون العمل خالصاً لوجه الله. عن أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (10).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القي في النار…) (2)

2 - أن يحسنوا التوكل على الله. قال جل من قائل: (يا أيها النبي حسبك الله، ومن اتبعك من المؤمنين) ((الانفال/ 64).

أي أن الله كافيكهم، وكافيك خداعهم إياك، لأنه متكفل بإظهار دينه علىالأديان، ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة ،عدائه السفلى، فلا يهولنكم كثرة عدوكم، وشدة بأسه، وقلة عددكم وضعف امكاناتك ، فإنكم إنما تنتصرون بحسن توكلكم على الله ثم بوحدة صفوفكم وتآلف قلوبكم.

والتوكل فريضة من فرائض الاسلام، وشرط من شروط الإيمان. قال تعالى: (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (المائدة/23). وقال: (ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) (يونس/84).

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان معنى هاتين الآيتين:

(فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان، فدل على انتفاء الايمان عند انتفائه،وفي الآية الاخرى: (قال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) (يونس/84) فجعل دليل صحة الاسلام التوكل، وكلما قوي ايمان العبد، كان توكله أقوى، واذا ضعف الايمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً كان دليلاً على ضعف الايمان ولا بد. والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والايمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية.

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الايمان والاحسان، ولجميع أعمال الاسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الرأس من الجسد، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقامته واعماله إلّا على ساق التوكل).

وقال صاحب كتاب فتح المجيد:

(لكن التوكل على الله قسمان:

احدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبه: من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة، فهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه: من رزق، أو دفع أذىً ونحو ذلك فهو شرك أصغر) (3).

وإذن: فمن الشرك الاكبر الاعتقاد بأن النصر لا يتحقق في ميادين الدعوة والجهاد الا بالتحالف مع الطواغيت، والتوكل عليهم.

3 - أن ينصر الدعاة المجاهدون ربهم. قال تعالى: (ولينصرون الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) (الحج/40).

قال الشنقيطي رحمه الله في بيان معنى هذه الآية:

(بين الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه أقسم لينصرن من ينصره، ومعلوم أن نصر الله إنما هو باتباع ما شرعه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ونصرة رسله وإتّباعهم، ونصرة دينه وجهاد أعدائه وقهرهم حتى تكون كلمته جلا وعلا هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى.

ثم أن الله جل وعلا بين صفاتٍ الذين وعدهم بنصره، ليميزهم عن غيرهم، فقال مبيناً من أقسم أنه ينصره، لانه ينصر الله جل وعلا (الذين إن مكناهم في الأرض

أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) الآية. وما دلت عليه هذه الآية الكريمة: من أن من نصر الله نصره الله جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم). وقوله تعالى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، أنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون)، وقوله تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)، وقوله: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) الآية، إلى غير ذلك من الآيات، وفي قوله تعالى: (الذين إن مكناهم في الأرض) الآية. دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالذين يمكن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فليس لهم وعد من الله بالنصر، لإنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعدهم الله بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه، فلو طلبوا النصر من الله بناءً على أنه وعدهم إياه، فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع عن عمل ما أجره عليه، ثم يطلب الأجرة، ومن هذا شأنه فلا عقل له، وقوله تعالى:)إن الله لقوي عزيز)(العزيز الغالب الذي لا يغلبه شيء) (4).

ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتقد بأن الله وحده هو الناصر، فقد كان يكثر من الإلتجاء الى الله يسأله النصر والتمكين. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف ربه: (اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض).

فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك.، فأنزل الله عز وجل: (إذ تستغيثون

ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فأمده الله بالملائكة (5).

- وإذا كان هذا هو أمر النصر وهذه هي أسبابه فكيف ينتصر من يقول:

- كنا مضطرين لإعلان الجهاد، لأن الشباب الذين يعملون معنا بدأوا يتخلون عنا، وينضمون لجماعات أخرى تدعو إلى الجهاد.
- وكيف ينتصر من يدفع الناس الى القتال، وهو واهله بعيدون عن ميدان المعركة لا يقتربون منها، ولا يشاركون فيها مع أنهم ليسوا من أصحاب الاعذار.
- وكيف ينتصر من لا يتورع عن أي عمل من أجل الوصول إلى كرسي القيادة.
- وكيف ينتصر من يسبح في أوحال الذنوب والمعاصي، ويتاجر بدين الله.
- وكيف ينتصر من يقول :لا سبيل إلى تحقيق النصر إلا إذا تحالفنا مع المشركين والمرتدين، وهو يعلم أنه الأضعف في هذا الحلف المشبوه… ثم تراه ينتقل من حلف إلى حلف آخر، ويستعين بحلفائه ضد اخوانه الدعاة الى الله.

إن أمثال هؤلاء لم يبلغوا مرحلة الذين يقاتلون حميةً أو رياءً، او يقاتلون من أجل السمعة والصيت، لأن من يشارك في القتال قد يقتل، وهؤلاء يريدون الغنائم ولا يريدون الموت. ولن ينصر الله هذا الصنف من الخلائق ،ولو أتبعهم أهل الارض واستجابوا لأوامرهم.

ثانيا – الإعداد:

قال تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ اليكم وانتم لا تظلمون) (الانفال/60).

- الرباط: الحبل الذي تربط به الدابة ورابط الجيش أقام في الثغر.
- ترهبون به عدو الله وعدوكم: أي الكفار فهم أعداء الله وأعداء لنا ،لانهم يتربصون بنا الدوائر.
- وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم: أي وترهبون به أناساً من غير الأعداء المعروفين والله وحده يعرف عداوتهم لكم، وعدم العلم عند

نزول الآية لا ينافي العلم بعد ذلك.. وكثير من المنافقين لم يكونوا معروفين عند المسلمين.

- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ألا إن القوة الرمي، ألا إن لقوة الرمي، ألا إن القوة الرمي) (6).
- ظن بعض المفسرين أن الاعداد قاصر على الرمي، ولقد ذكر شيخ المفسرين – الطبري – مختلف أقوال العلماء ثم ختمها بقوله:

(والصواب من القول في ذلك ان يقال: أن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب، وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين، من السلاح والرمي وغير ذلك، ورباط الخيل، ولا وجه لأن يقال: عني بالقوة معنى دون معنى من معاني القوة، وقد عمّ الله الامر بها، فإن قال قائل: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين أن ذلك مرادٌ به الخصوص بقوله: (ألا إن القوة الرمي)؟ قيل له: إن الخبر، وإن كان قد جاء بذلك، فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة، دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر: (ألا إن القوة الرمي)، ولم يقل دون غيرها، ومن القوة أيضاً السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونة على قتال المشركين، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم، وفي النكاية منهم) (7).

وقال رشيد رضا: (ومن قواعد الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن صنع المدافع بأنواعها، والبنادق والدبابات والطيارات والمناطيد، وإنشاء السفن الحربية بأنواعها ومنها الغواصات التي تغوص في البحر، ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الاشياء وغيرها من قوى الحرب، بدليل (ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب)، وقد ورد أن الصحابة استعملوا المنجنيق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر وغيرها، وكل الصناعات التي عليها مدار المعيشة من فروض الكفاية، كصناعات آلات القتل).

لقد عمل سلفنا الصالح رضوان الله عليهم بمقتضى هذه الآية الكريمة، فكان جيشهم أقوى جيوش الارض، وأسلحتهم أحدث أنواع الأسلحة، وإستعدادهم للموت

يعجز عنه الوصف.. ولهذا فقد أرهبوا عدو الله وعدوهم، وهزموا جيوش الفرس والرومان، وملكوا أرضهم وديارهم.

وتغير حالنا اليوم، فألف المسلمون حياة الترهل والترف والرخاء، وانصرفوا عن الجهاد في سبيل الله، وملك عدونا السلاح - قديمه وحديثه - وصار هو المتحكم ببيعه، يعطيه لمن يشاء، ويمنعه عمن يشاء، وأصبح بضعة ملايين من اليهود يرهبون مئات الملايين من المسلمين، ويستخفون بهم.

ثالثاً - العلم:

العلم شرط من شروط الاسلام ومتقدم عليه. قال تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله)، وكل مسلم لا بد أن يتوفر عنده حد أدنى من العلم، ويختلف هذا الحد من شخص لآخر، ومن ركن إلى ركن آخر من أركان الاسلام.

والدعاة المجاهدون أكثر المسلمين تفهماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)، والجيش المجاهد في سبيل الله لا بد ان يحيط بالعلوم التالية:

شروط، الحرب ومن الذين يحاربون، اسرى الحرب، الجزية، الغنائم، العهود والمواثيق، حكم ما افتتح عنوة، الرسول، متى يكون الجهاد فرض عين ومتى يكون فرض كفاية، وهل يجوز الاستعانة بالكفار، وغير ذلك من الاحكام الشرعية.

صحيح أن كل جندي لا يمكن أن يكون عالماً باحكام الجهاد كلها، ولكن لا يجوز أن يكون الجيش كله جاهلاً بهذه الاحكام، فلا بد أن يكون فيه علماء قادرون على وضع حلول سريعة لكل مشكلة تواجه الجند، ومن شروط إختيار القادة العلم الشرعي بالمهام التي انيطت بهم ،لا سيما وأن طبيعة المشكلات الحربية تتسم بالسرعة، ومن شروط صحة العمل أن يكون بما شرع الله.

فإن كان المجاهد صادق النية، قوي العزيمة، ويقاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، ولكنه جاهل مستهتر، يبطش بهذا ،ويسفك دم ذاك، دون أن يتبين حكم الله، ومعرفة الحلال من الحرام فعمله فاسد وغير مشروع.

وقد بلينا في هذا العصر بأناس يرتكبون منكرات فظيعة ويسمونها جهاداً، ويغتصبون أموال الناس ويسمونها غنيمةً، وقد تكلفهم عملية الاغتصاب قتل

عدد من المارة الذين ساقهم القدر إلى ذلك المكان أثناء تنفيذ العملية الإجرامية، دون أن تكون لهم أدنى علاقة بالمحلات المغتصبة وأصحابها.

ولا يعترف هؤلاء بجهلهم، وانما يختارون من أقوال العلماء ما يظنون أنه يوافق بدعهم وضلالاتهم، ويضعون هذه الاقوال في غير موضعها، ويظنون أنهم يحسنون صنعا.

ومنهم من لا يحتاج إلى أقوال العلماء، فأوامر القيادة نصوص محكمة، وهؤلاء – أي القيادة – هم العلماء الأمناء، وعندهم علم كل شيء، وغيرهم لا يجوز أن يؤخذ عنه… إن مثل هذه الاعمال مغامرات وليس جهادا، جرائم وليست أعمالاً صالحة.

رابعاً: الوحدةوالإئتلاف.

بين الله جل وعلا أن من أهم أسباب فشل المسلمين في غزوة أحد، تنازع الرماة، واختلافهم، وعصيان بعضهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: (ولقد صدقكم الله وعده، إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذر فضل على المؤمنين) (آل عمران/ 152).

وفي جميع غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المسلمون صفاً واحداً وجماعةً واحدةً تتلقى أوامرها من قيادة واحدة. قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا أن الله مع الصابرين) (الانفال/45،46).

وطاعة الله ورسوله تعني سلامة المنهج والاعتقاد، كما تعني وحدة التلقي والتوجيه، والفشل حصيلة للتفرق واختلاف القلوب، وتعدد القيادات والجماعات.

وما من معركة خضناها – في هذا العصر – الا وكنا فيها جماعات متنازعة، وقيادات مختلفة متباغضة ،فكيف يتحقق النصر والتمكين؟!

إن الجميع يتحدث عن وحدة الصف ويكتب عنها، ويبشر بها، ومع ذلك فالنتائج مؤسفة ومخيبة للآمال، ويتضح بعد كل محاولة أن كل فئة كانت تحاول إخراج الفئة الأخرى وتمكر بها، وتفرض عليها شروطاً تتعارض مع أهداف الوحدة والائتلاف.

والمحاولة الجادة الناجحة يجب أن تستهدف إصلاح أمراض النفوس والقلوب.. فإذا تغيرت النفوس، وامتلأت القلوب بالتقوى، تغير كل شيء في حياتنا.

ولا يزال بيننا من يتجاهل هذه النصوص الصريحة، ويظن أنه قادر على صنع الأعاجيب، وهو قابع في سرداب مظلم، ويستصغر أعمال وأنشطة إخوانه من الدعاة والجماعات الاخرى الذين يكرهون السراديب وظلمتها… فلنتق الله جميعاً ولنتدبر قوله تعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (الصف/4).

أجل! لن نحقق نصراً، ولن نغير هذا الواقع الا اذا اصبحت الجماعات جماعة واحدة، والصفوف صفاً واحداً، وكان لنا قيادةً واحدةً تتمسك بما كان عليه الرسول واصحابه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

خامساً – الهدف:

المجاهد في سبيل الله يعلم لماذا يقاتل، ومن يقاتل، وما هو الهدف من وراء هذا القتال. قال تعالى: (إن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (التوبة/111).

قال بعض المفسرين: (ليس في الجهاد ترغيب أحسن ولاأبلغ من هذه الآية، لأنه أبرزه في صورة عقد عاقده رب العزة، وثمنه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ ومن صفات الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم: (التائبون العابدون الحامدون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) (التوبه/112).

وعن محمد بن كعب القرظي أن عبد الله بن رواحة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أشترط لربك ولنفسك ما شئت! قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون به أنفسكم وأموالهم. قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فماذا لنا؟ قال: الجنة؟ قالوا: ربح البيع، لا نقبل ولا نستقيل؟ فنزلت: (إن الله اشترى من المؤمنين) الآية (8).

وقال تعالى: (قل هل تربصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، فتربصوا إنا معكم متربصون) (التوبة/ 52).

وهذا الذي ينتظره المجاهد في سبيل الله: الشهادة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، أو النصر والظفر بالعدو، والفتح المبين، وكلتاهما مما نحب ولا نكره.

النصر أو الشهادة… هكذا أراد الله جل وعلا أن يتربى الاصحاب رضوان الله عليهم، فالله قد اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وهم في غاية الشوق اليها.

والنصر عندهم واضح المعالم: إنه لدين الله، ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وليس النصر للقائد ومساعديه، أو للجماعة وأعضائها.

أتدرون كيف يربي بعضهم اليوم أصحابه؟! لقد وزعوا المناصب على أهل الحل والعقد فيهم: فهذا وزير الداخلية، وذاك للدفاع، والثالث للتربية والتعليم، والرابع للخارجية، والخامس لقيادة الجيش… ما تركوا وظيفة كبيرة إلا وذكروا اسم صاحبها، وأصبح الجميع يتصرفون مع غيرهم على أساس المناصب الجديدة، وأركان هذه الحكومة العتيدة لم يطلقوا رصاصة واحدة ضد العدو، وبعد أن كانوا ينتقدون الشباب الذين فجروا هذه المعركة ويصفونهم بالطيش والتهور، أصبحوا يظنون أن النصر قد إقترب فغيروا لهجتهم، وادعوا بإنهم اصحاب الحق، وأهل الجهاد، وجميع الشهداء منهم، ومن يشك فيما يقولون فليسأل الشهداء؟!

ولم يكن رجال هذه الحكومة الجماعة الاسلامية الوحيدة في ساحة العمل، وكانوا يتكلمون عن الوحدة، لكنهم يرون أن هذه الوحدة يجب أن تتم بالانضمام إليهم، وبالكيفية التي يريدونها، ومن يرفض هذا الظلم فقد شق عصا الطاعة وخالف الجماعة.

انقشع غبار المعركة الوهمية بعد حين من الزمن عن هزيمة محزنة، ألمت بهذه الحكومة وبغيرها من الدعاة والجماعات، ولم ينعم احد من هؤلاء بالمنصب الذي أسند إليه، وأعقبت الهزيمة خلافات واتهامات وانشقاقات، وهذه عاقبة كل من يخالف سنن الله الثابتة في النصر.

وعلى ضوء هذه السنن نستطيع معرفة أسباب الهزائم المتكررة، لأن كل من يهتم بأمور الجماعة والعمل الاسلامي يعرف من أحوالهم ما يمكنه من الحكم على مدى التزامهم بسنن الله في النصر، وفي الحلقة القادمة إن شاء الله سندرس الجهاد الافغاني كمثال تطبيقي على هذه السنن.

هوامش:

1 – اخرجه الشيخان.
2 – اخرجه الشيخان.
3 – فح المجيد، مكتبة دار البيان، ص: 412.
4 – اضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيرو: 5/703-704.
5 – اخرجه مسلم (1763)، واخرجه البخاري والترمذي وابن جرير من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم اني انشدك عهدك ووعدك، واللهم ان شئت لم تعبد) فأخذ ابو بكر بيده، فقال: حسبك، فخرج وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدير).
6 – اخرجه مسلم، وابو داود، وابن ماجه.
7 – تفسير الطبري، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف بمصر: 14/37.
8 – تفسير الطبري: 14/498.

الحلقة الرابعة
الوحدة الإسلامية

محمد سرور بن نايف زين العابدين

لماذا امرنا الله بمخالفة اليهود والنصارى؟ !

كان الناس أمة واحدة مجتمعة على ملة واحدة هي ملة التوحيد، ودين واحد هو دين الإسلام (1) فاختلفوا، فبعث الله عند اختلافهم في دينهم رسلاً يبشرون من أطاع الله بجزيل الثواب وكريم المآب، فغير أهل الكتاب وبدلوا في الكتب التي أنزلها الله إليهم، وعصوا رسله، وأشركوا بربهم، فاستحقوا بعملهم هذا غضب الله ومقته. قال تعالى:

(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) (البقرة/ 213).

وقال: **(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)** (آل عمران/ 105). وقال: **(وما تفرق الذين اوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة)** (البينة/4).

وقال: **(وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم)** (الشورى/ 14).

ومن المعاني النفيسة التي تضمنتها هذه الآيات:

1 - إن أهل الكتاب اختلفوا من بعد ما جاءتهم حجج الله وآياته الواضحة الدالة على أن الكتب المقدسة من عند الله، وأنها الحق الذي لا يسعهم الاختلاف فيه، ولا العمل بخلاف ما نصت عليه.

وأخبر تعالت أسماؤه وصفاته أنهم أتوا ما أتوا من الباطل، وقالوا من القول الذي هو كفر بالله، على علم منهم بخطأ ما قالوه، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم بخطئه، والجهل ليس بعذر بعد البيان.

2 - **(وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم).**

و(البغي): مصدر من قول القائل: بغى فلان على فلان، إذا طغى عليه واعتدى عليه فجاوز حدّه.

لقد اختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم فحمل بعضهم بعض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله، وإن كانت حقاً. فخلافهم إذن جاء نتيجة اتباعهم للهوى، وطاعتهم لشهوات نفوسهم، وتنافسهم على الزعامة والرئاسة.

3 - أوجب الله علينا مخالفة اليهود والنصارى، وعدم التشبه بهم في عقائدهم وأخلاقهم وعاداتهم. قال تعالى: **(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)** (آل عمران/105).

وقال: **(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى)** **(الاحزاب/69)** **وقال: (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين)** (آل عمران/ 12).

وقال: **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)** (المائدة/ 51).

وقال: **(يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم)** (الممتحنة/ 13).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ؟إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) (الأنعام/159): (قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: (لست منهم في شيء) وذلك يقتضي تبرؤه منهم في جميع الأشياء.

ومن تابع غيره في بعض أموره، فهو منه في ذلك الأمر، لأن قول القائل: أنا من هذا، وهذا مني- أي أنا من نوعه وهو من نوعي- لأن الشخصين لا يتحدان الا بالنوع، كما في قوله تعالى: (بعضكم من بعض) وقوله عليه الصلاة والسلام لعلي: (أنت مني وأنا منك) (2) فقول القائل: لست من هذا في شيء، أي لست مشاركاً له في كل شيء، بل أنا متبرئ من جميع اموره.

وإذا كان الله قد برأ رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع امورهم، فمن كان متبعاً للرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة كان متبرئاً كتبرئة، ومن كان موافقاً لهم كان مخالفاً للرسول بقدر موافقته لهم، فإن الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهما، كلما شابهت أحدهما خالفت الآخر) (3).

وقال ابن كثير: (والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق) (4).

فدين الله الذي جاءت به الرسل هو الصراط المستقيم.

قال تعالى: **(وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** (الأنعام/153).

وعن عبد الله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (5).

- (وأن هذا صراحي مستقيماً): يعني طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيماً ليس فيه اعوجاج.

- والسبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر اهل الملل، وأهل البدع والضلالات، قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله، ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد.

إن الذين اتبعوا السبل، وفرقوا دينهم، واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم سوف تستمر الخصومة والعداوة بينهم في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب. قال تعالى:

(من الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) (المائدة/ 14).

وقال تعالى عن اليهود:

(وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً. والله لا يحب المفسدين) (المائدة/ 64).

وقال: **(ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق، وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)** (البقرة/176).

وقال: **(فإن آمنوا بمثل ما أمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) (البقرة/ 137).**

فالعداوة والبغضاء ألصقت بهم كالصمغ لا تنفك عنهم ما داموا كفاراً مشركين، وسوف يستمر الفراق والحرب بينهم

إلى قيام الساعة، ويوم القيامة سينبئهم الله بما كانوا يصنعون ويفترون.

ومن هذا الإغراء الذي ابتلاهم الله به كثرة الجدال في أصول الدين وأركانه، لقد إفترقوا نيفاً وسبعين فرقة، وكل فرقة تلعن الاخرى وتكفرها، وافترقت أمة الإسلام على ثلاث وسبعين فرقة، والناجون أتباع فرقة واحدة تمسكت بما كان عليه الرسول وأصحابه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما الفرق الأخرى من أبناء ملتنا فهم الذين فارقوا السنة، واعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وقبلوا من السنة ما وافق رأيهم، وتحايلوا في رد ما خالفه.

إن حال المبتدعين المسلمين يشبه حال اليهود والنصارى في تفرقهم واختلافهم، وليستعرض من شاء عدد فرق الخوارج والرافضة، وما تقوله كل فرقة بالأخرى، وكيف يكفر بعضهم بعضاً لاتفه الأسباب.

لقد حذرنا الله من التشبه باليهود والنصارى لأنهم اختلفوا وتفرقوا فهل نملك اليوم وحدة كالوحدة التي حققها اليهود أو النصارى فيما بينهم؟! تعالوا نقارن بين حالنا وحالهم اليوم:

لليهود كيان واحد يضم أبناء جلدتهم في العالم كله على مختلف فرقهم وأحزابهم وهيئاتهم، وتتولى (الوكالة اليهودية العالمية) قيادة هذا الكيان من خلال علماء كبار متخصصين في العلوم الاقتصادية والسياسية والإعلامية والاجتماعية والعسكرية، ويسخّر هؤلاء العلماء جميع إمكاناتهم لخدمة الأهداف والمطامع اليهودية.

وبعد تخطيط استمر أكثر من نصف قرن تمكنت الوكالة اليهودية من إقامة دولة في فلسطين – أطهر وأعز أرض بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة - … وبعد عشرين عاماً من إقامة دولتهم نجحوا في ضم سيناء، والجولان، والضفة الغربية، وغزة إلى دولتهم بعد حرب مشبوهة مع العلمانيين العرب، ويخططون اليوم من أجل إقامة دولتهم المزعومة التي يرون أنها تمتد من النيل إلى الفرات.

ومع أن عدد اليهود في فلسطين المحتلة لا يتجاوز مليونين ونصف المليون، فجيشهم يعتبر رابع جيش في العالم، ويمتلك أحدث انواع الاسلحة الفتاكة، ويهدد دولا يبلغ عدد سكانها حوالي مئتي مليون!! وتستغل المخططات اليهودية كل ما يخدم أطماعها... تستغل ضعف العالم الإسلامي وتمزقه، كما

تستغل طريقة صنع القرار في الولايات المتحدة الامريكية ويرغمون القادة الأميركان على الاستجابة لمطالبهم.
وآخر المكاسب التي حققوها موافقة الاتحاد السوفييتي على السماح للمواطنين اليهود بالهجرة إلى فلسطين المحتلة، وجاءت هذه الموافقة بعد ضغط استمر أكثر من ثلاثين سنة، وبعد استخدامهم لنفوذ الولايات المتحدة وحاجة السوفييت الملحة إلى القمح الاميركي وغيره.
فهل يملك المسلمون وحدة كالوحدة التي حققها أولاد الافاعي... وهل هناك دولة تدافع عن كل مسلم في العالم كما يدافع الكيان الصهيوني عن كل يهودي في العالم... وهل تملك الجماعات الإسلامية منظمة ينسقون من خلالها جهودهم كالوكالة اليهودية؟!
والجواب واضح ومؤلم:
لا يملك المسلمون شيئاً من هذا، ولم يضعوا أقدامهم في بداية الطريق الصحيح، ولا تزال الخلافات تشغلهم عن تنفيذ مثل هذه الخطوة الجادة، وإن كنا نرجوا أن نشهد بزوغ فجر ذلك اليوم.
هذا هو واقع اليهود، فما هو واقع النصارى، وهل يملك المسلمون وحدة كتلك الوحدة التي حققها النصارى اليوم؟!
إن للنصارى دولة تتحدث باسمهم اسمها (الفاتيكان)، ورئيس هذه الدولة هو أكبر رجل دين بين النصارى، يختاره أعلى طبقة من رجال الدين عندهم عن طريق الانتخابات، ولا تستطيع فرضه هذه الدولة أو تلك، ويُلقب (بالبابا)، وله سفراء يمثلونه في معظم دول العالم، وكلمته مسموعة إلى حد كبير عند الولايات المتحدة الاميركية ودول أوربا، وعند فرنسا بشكل خاص لأنها تعتبر نفسها حامية حمى النصارى في العالم.
ومن الصلاحيات الواسعة التي يملكها هذا البابا نذكر المثالين التاليين:
المثال الأول: رافق كتابة هذا البحث وقوع قتال ضار بين طرفين مارونيين في بيروت الشرقية، وأعلنت القوات السورية المرابطة في لبنان بأنها ستجتاح بيروت الشرقية وحسم هذا الصراع... فتحرك رسل البابا يحملون رسائله الى الدول الكبرى، وبعض دول الشرق الأوسط، وتحرك معهم الأسطول الحربي الفرنسي ورابط قبالة الشواطىء اللبنانية مهدداً ومتوعداً كل من يتجاوز الخط الاحمر – أي كل من يجتاح بيروت الشرقية – الذي تم رسمه منذ بداية الحرب اللبنانية عام 1976م.

ورد النظام السوري على التهديد الفرنسي بأشد منه... وفي هذه الأجواء الساخنة زار المسؤولون الاميركان كل من فرنسا وسوريا، فانتهت المشكلة، وتراجعت الأخيرة عن إجتياح بيروت الشرقية، وهي التي لم تتراجع عن هدم طرابلس وحماة والمخيمات الفلسطينية لأنها ليست من الخطوط الحمراء، وليس لها (بابا) يدافع عنها، ويحرك الأسطول الفرنسي، وبقية دول أوربا من أجلها.

وقفت القوات الثورية ذليلة كسيفة أمام صلف القوات الفرنسية، ولم تستطع أن تخطو خطوة واحدة باتجاه بيروت الشرقية، وهرع الأصدقاء لإنقاذ قيادة هذه القوات من ورطتهم، فحركوا عملية الحل السياسي، واتفق النواب اللبنانيون بعد مباحثات طويلة وشاقة على حل وافق عليه الشرق والغرب، وممن وافق عليه فرنسا، وبابا الفاتيكان.

وبدأ اللبنانيون بتنفيذ بنود هذا الاتفاق، وتم اختيار رئيس ماروني للبنان، وفرح المسلمون لهذا الاختيار مع أن رئيسهم ماروني نصراني كاثوليكي. رفض رئس الحكومة العسكرية في بيروت الشرقية – وهو ماروني – الاتفاقية، وتنفيذها وما بني عليها، فالتف الموارنة حوله وأصبح للبنان رئيسان من الموارنة احدهما في بيروت الشرقية، والآخر في بيروت الغربية.

وعادت القوات الفرنسية المحتلة تهدد وتتوعد، وعادت فرنسا والفاتيكان إلى موقفها السابق... وعادت أميركا إلى سياسة التوسط بين الأطراف، وتراجعت القوات الثورية ألمحتلة مرة اخرى عن تنفيذ تهديداتها، وعن تنفيذ ما تم الاتفاق عليه بين كافة الأطراف والوسطاء، وأصبح واضحاً لكل ذي عينين أن بابا الفاتيكان مسؤول عن كل كنيسة، وعن كل نصراني في بلدان المسلمين، وأن هذه الدول لا تستطيع تطبيق دساتيرها وقوانينها على النصارى.

إن بابا الفاتيكان ووراءه الأسطول الفرنسي والقوات الأوربية يقفون مع النصارى في بلداننا حتى وإن كانوا معتدين ظالمين، ويمارسون أسوأ ألوان الامتيازات التي كانت معروفة في أواخر عهد الدولة العثمانية (6).

المثال الثاني: يدير البابا ومساعدوه من (الكاردينالات) مؤسسات للتنصير منتشرة في كل صقع من هذا العالم، وخاصة في الدول الفقيرة إسلامية كانت أو وثنية.

وتملك هذه المؤسسات مليارات من الدولارات، وتستغل المرافق الضرورية كالمستشفيات والمدارس والجامعات وجمعيات البر والتجارة وغير ذلك، ويعمل فيها جيش جرار

من القسيسين المتفرغين لهذه المهمة، والذين تم تدريبهم، وتعليمهم طبائع الشعوب وكيفية التعامل معها.
ومن أهم البلدان الإسلامية التي استهدفها التنصير (اندونيسيا)، وبدأت المؤسسات الصليبية تبث سمومها منذ سيطر الهولنديون على اندونسيا واستعمروها لأن المبشرين كانوا يتبعون الاحتلال... واستمر نشاطهم بعد خروج القوات الهولندية المحتلة، ويمثل البابا اليوم في اندونيسيا أحد كبار الكاردينالات، ولا أريد أن أعدد ما يملكون من مال وما يتلقون من دعم وتشجيع لأنه يكفي أن نعلم أن من وسائل النقل التي يمتلكونها الطائرات!!
إن القلب ليتفطر ألماً عندما نقارن بين واقع المسلمين المعاصر، وواقع اليهود والنصارى.
فالذين حذرنا الله من اتباع سننهم لأنهم تفرقوا واختلفوا أحسن حالا منا، وبينهم تعاون وتآزر عجزنا عن تحقيقه.
فها نحن نتلقى الضربات الموجعة، ونواجه اخطر التحديات، وتستنسر بغاث الطير في ارضنا، وتكاد لا تتحرك ضمائرنا، ولا تهتز مشاعرنا.
وأن الدم الإسلامي أرخص دم على وجه الأرض. لقد استباحه اليهود، والنصارى، والهندوس، والمجوس، والقرامطة، وغيرهم من الكفار والملاحدة، فما الذي دهى أمتنا وكيف وصلنا إلى هذه الحال؟!
إن اليهود هم اليهود ذِلاً ومسكنة واختلافاً وفرقة، والنصارى هم النصارى ضعفاً وجبناً، ووعد الله لعباده المؤمنين الموحدين بالنصر والتمكين ثابت لا يتبدل، والمسلمون هم الذين ضعف إيمان معظمهم، ووهنت عزائمهم، واختلفوا وتصارعوا واتبعوا السبل.

هوامش:

1 - عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق. رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

2 - جزء من حديث رواه الترمذي وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، ورواه البخاري في كتاب الصلح، وفي كتاب المغازي - باب عمرة القضاء - واحمد في المسند، في مسند أسامة بن زيد، انظر حاشبة اقتضاء الصراط المستقيم: 1/152، تحقيق الدكتور ناصر العقل.

3 - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم، لشيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل: 1/152.

4 - تفسير ابن كثير: 2/197، دار الفكر ومكتبة الرياض الحديثة.

5 - رواه الإمام أحمد في مسنده، والنسائي، وابن حرير، وابن مردويه، وصححه الحاكم، أنظر الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: 18/142.

6 - تأخر نشر هذه الحلقة عن موعدها المحدد، وسويت القضية اللبنانية فيما بعد تسوية جزئية لا تتعارض مع جوهر هذا المثال.

المسلمون قادمون
قراءة في فكر النخبة الأمريكية (

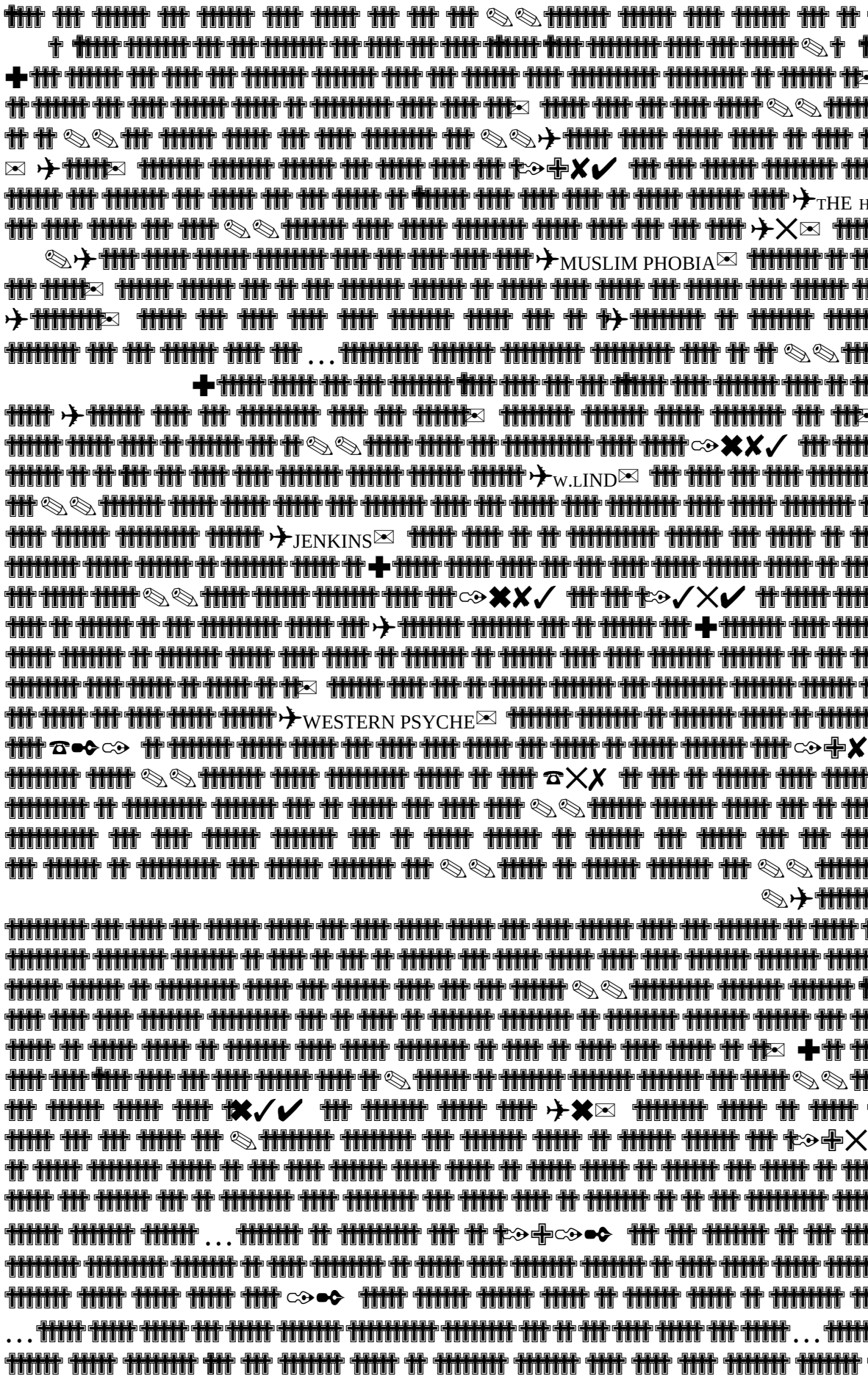
THE HAJ
MUSLIM PHOBIA
W.LIND
JENKINS
WESTERN PSYCHE

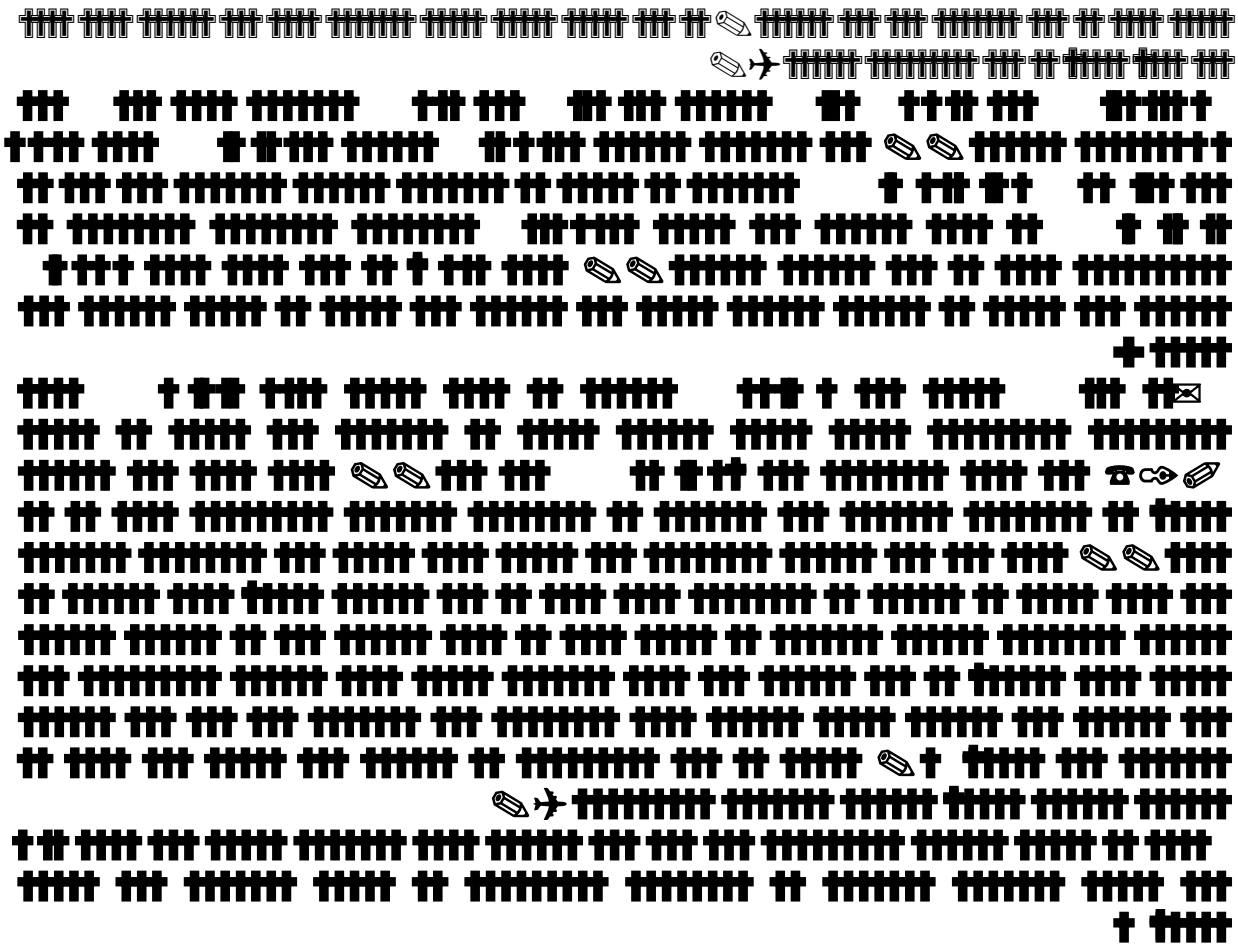

RASPAL LE PEN

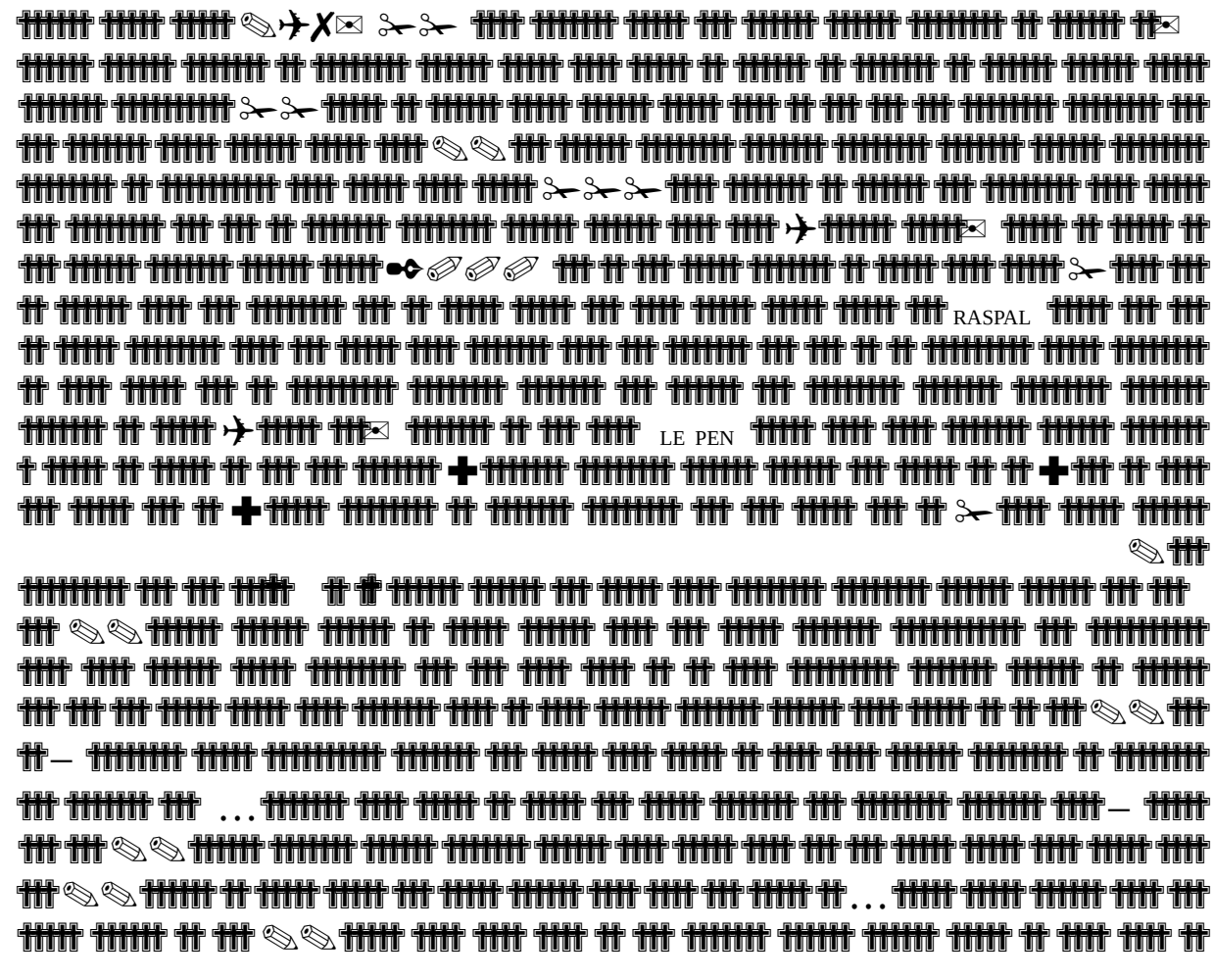

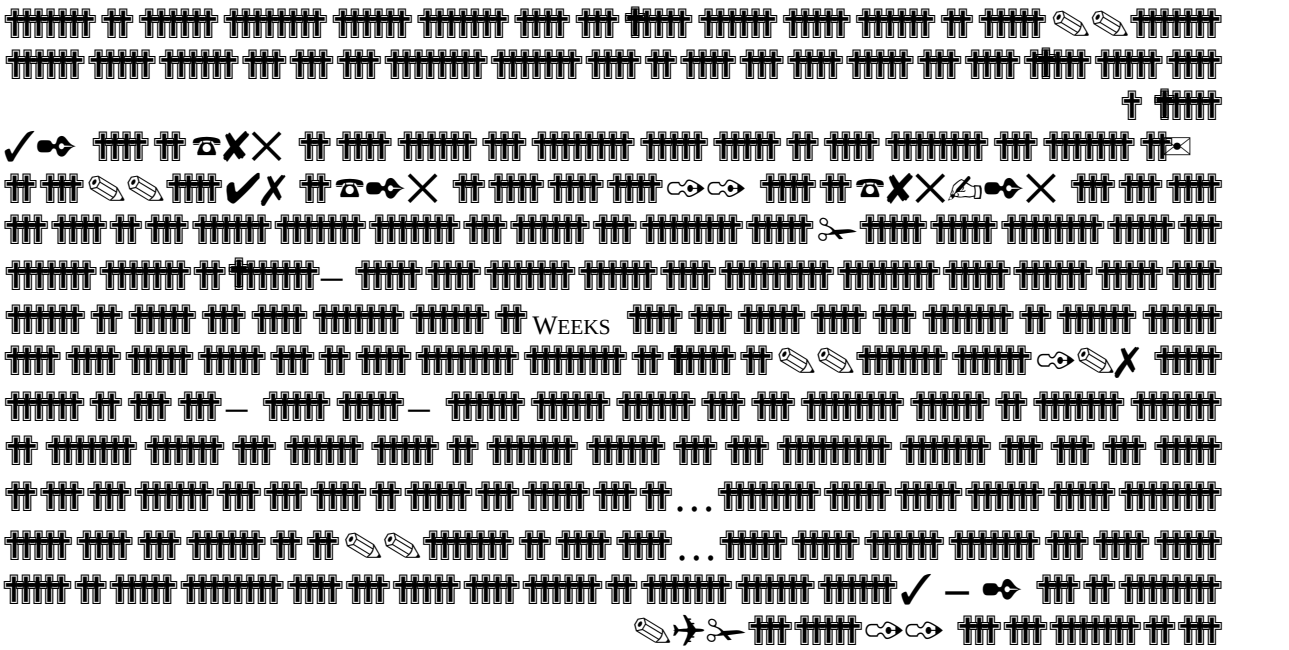

[illegible]

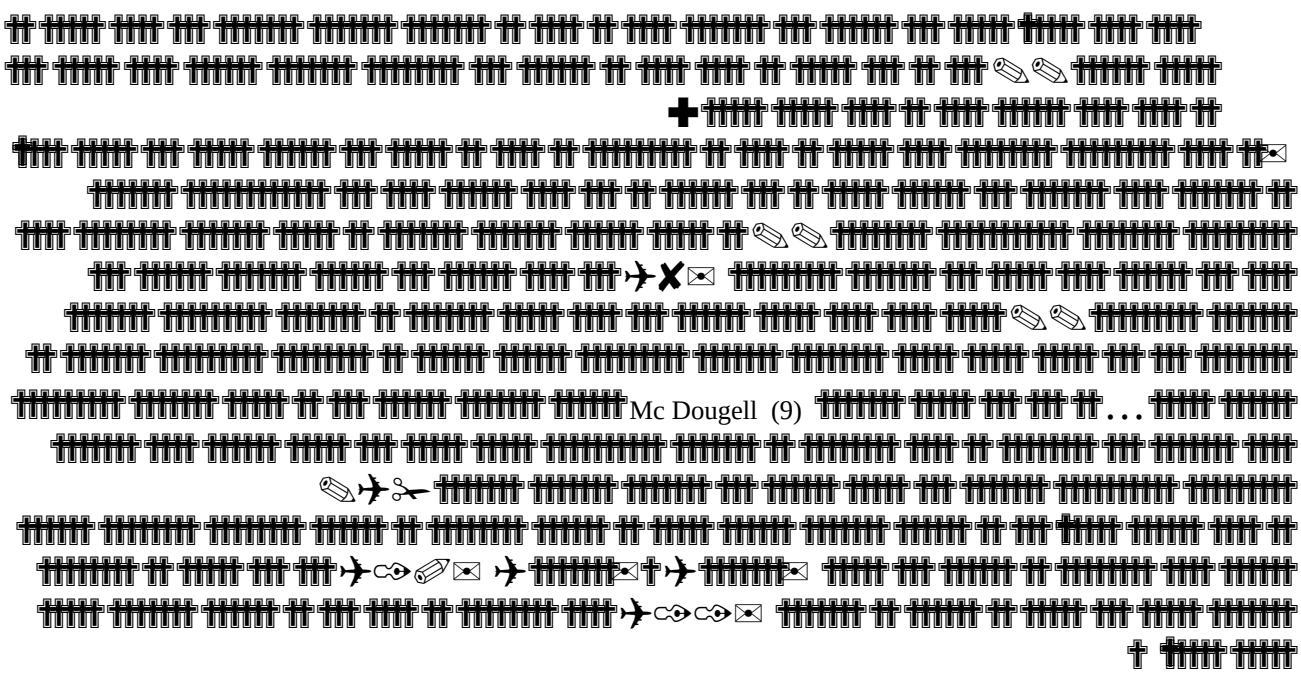

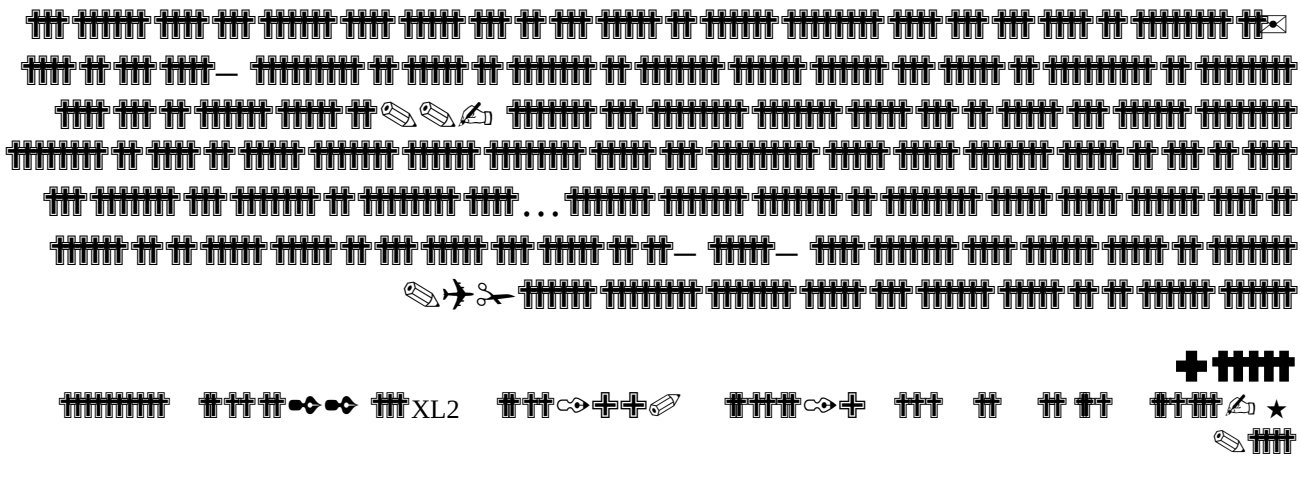

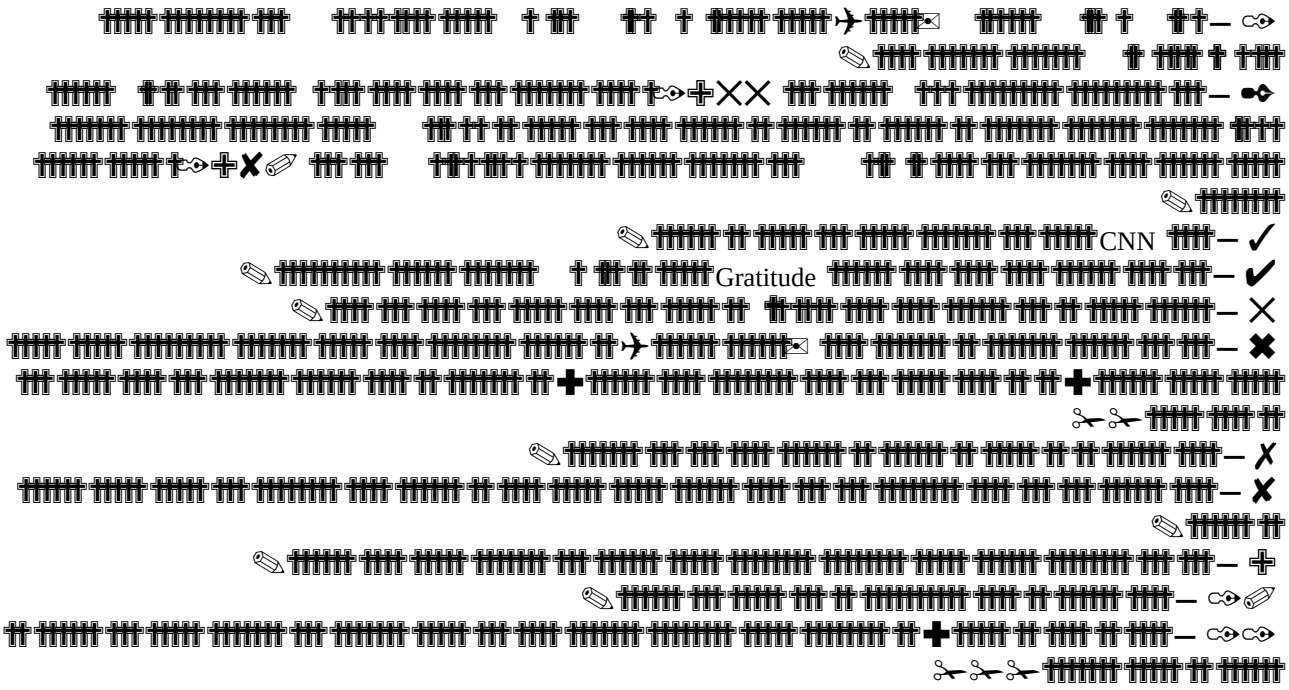
CNN
Gratitude

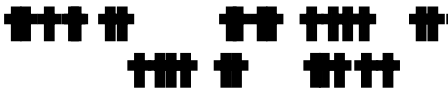

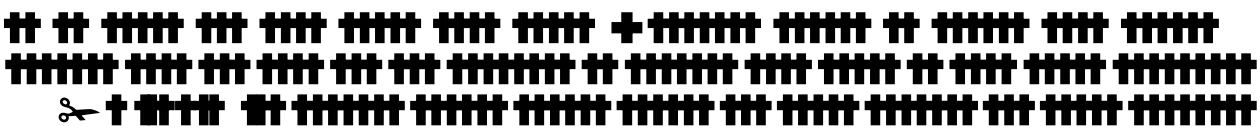

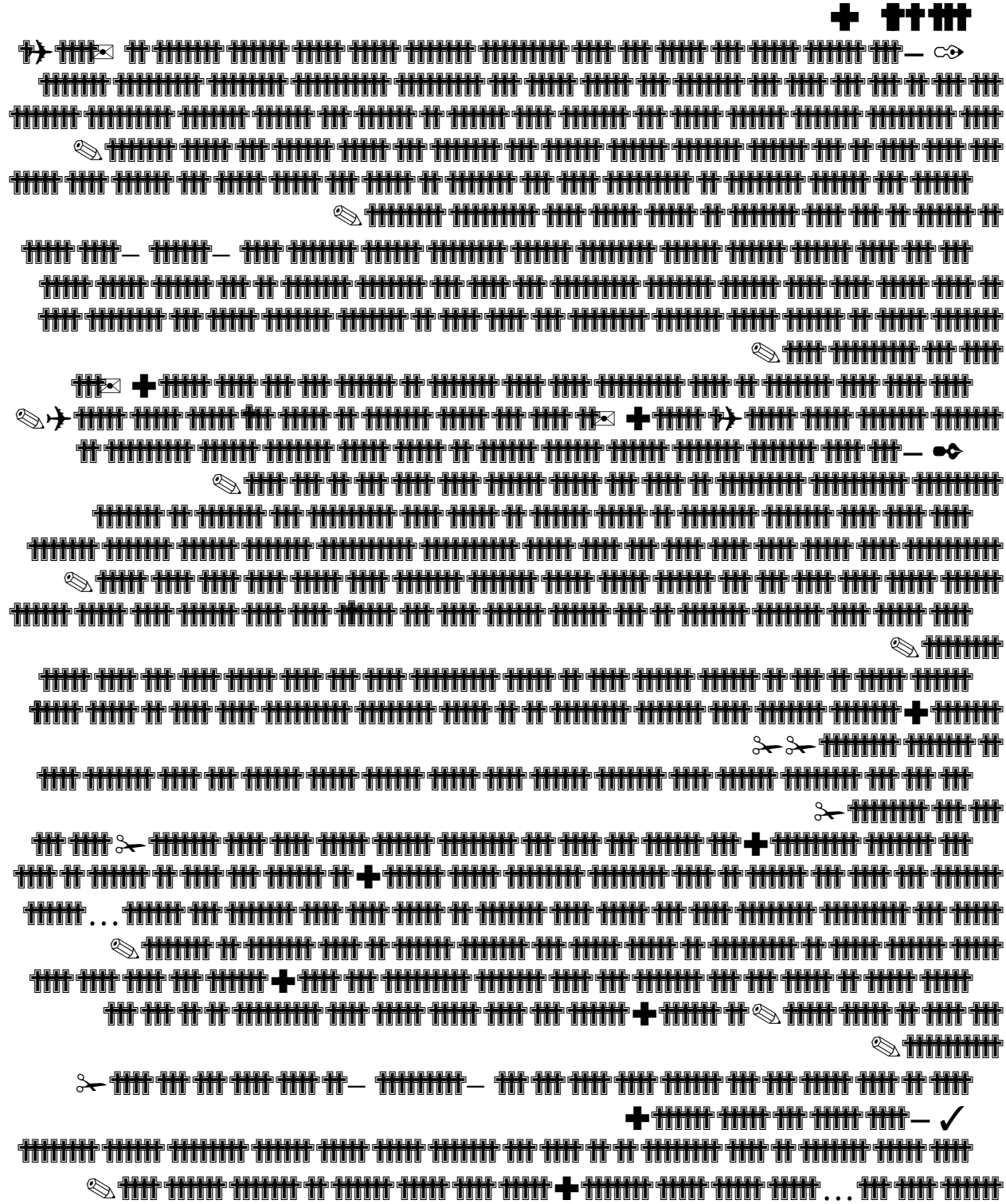

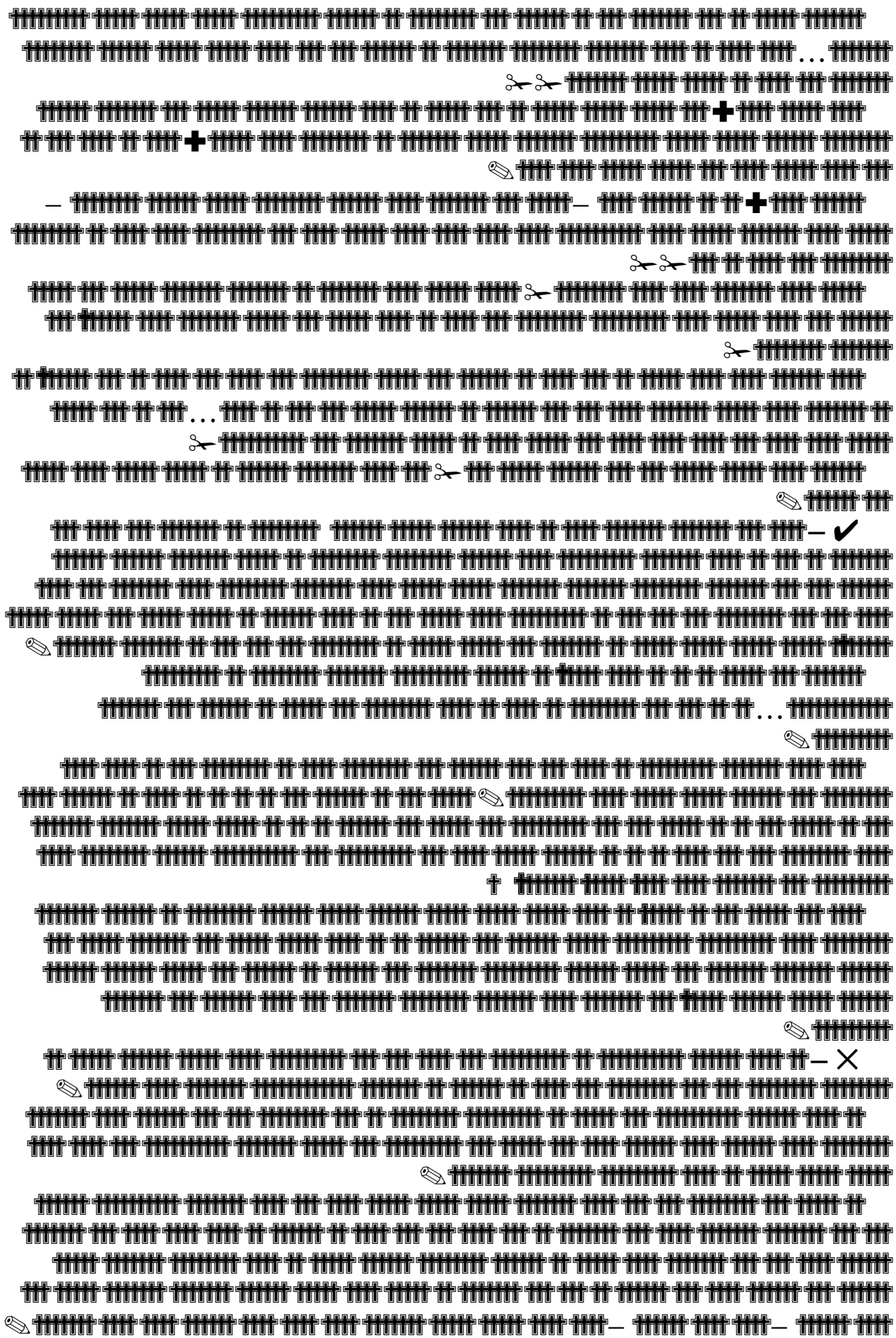

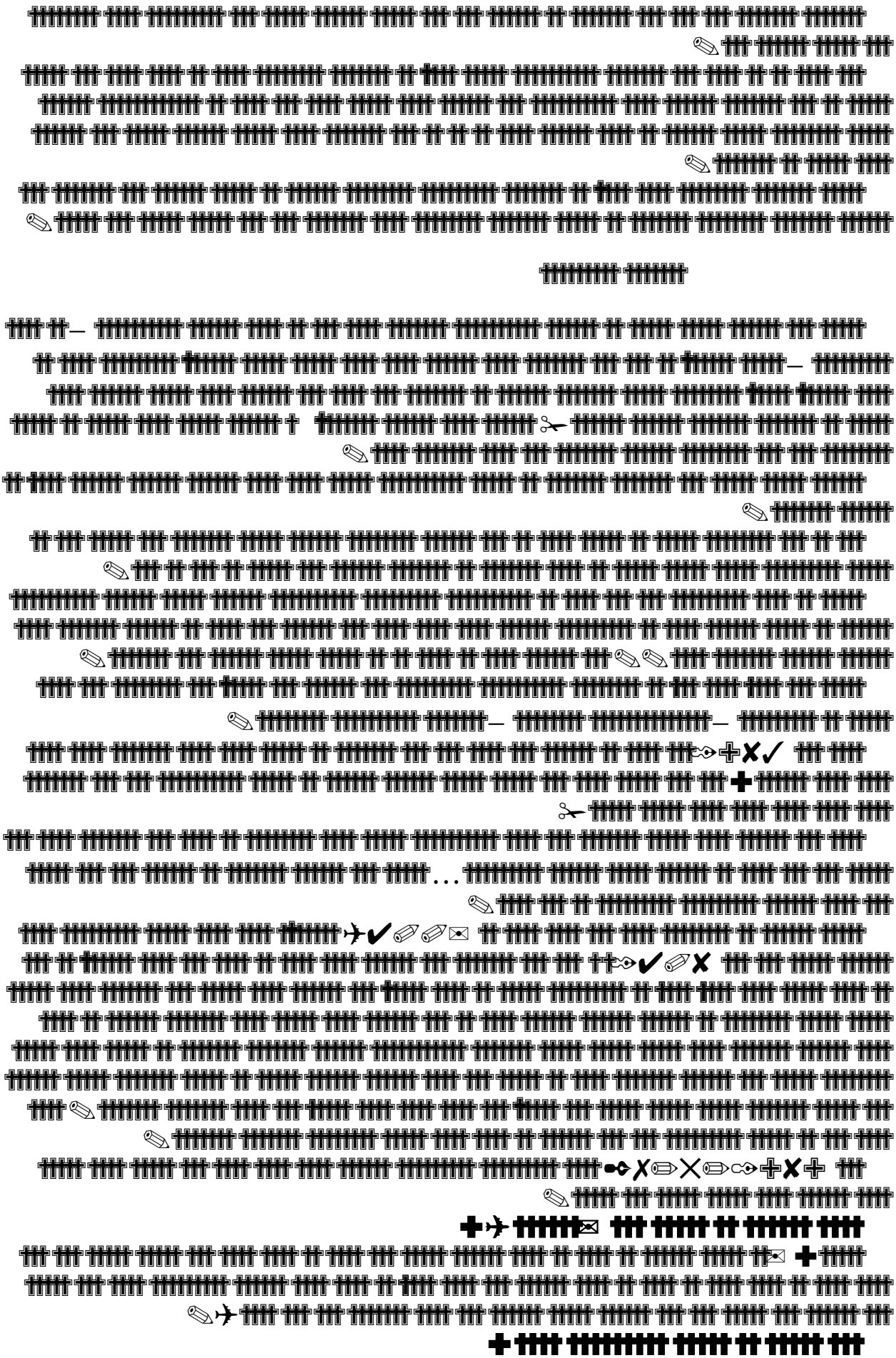

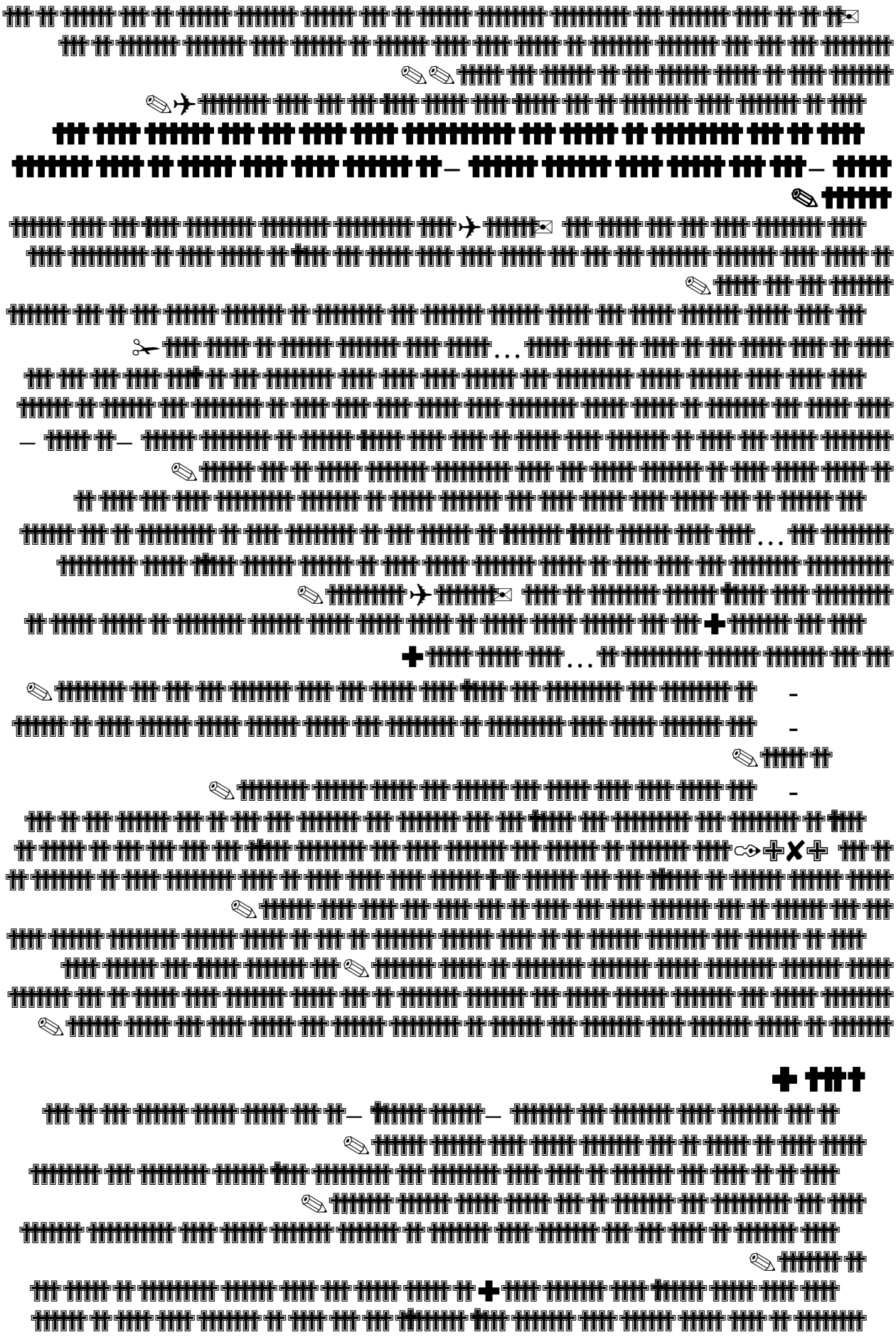

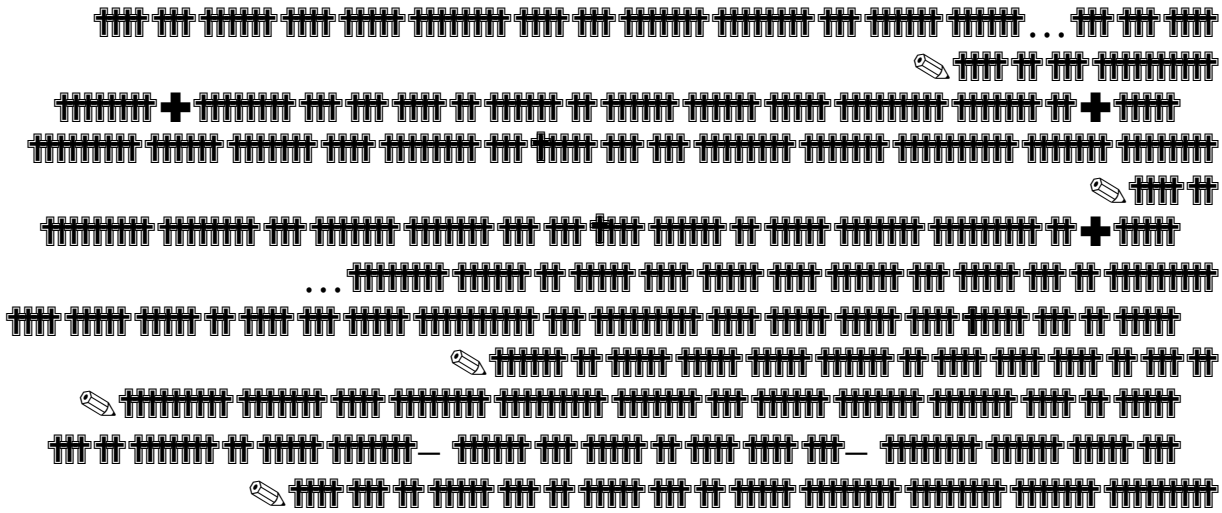

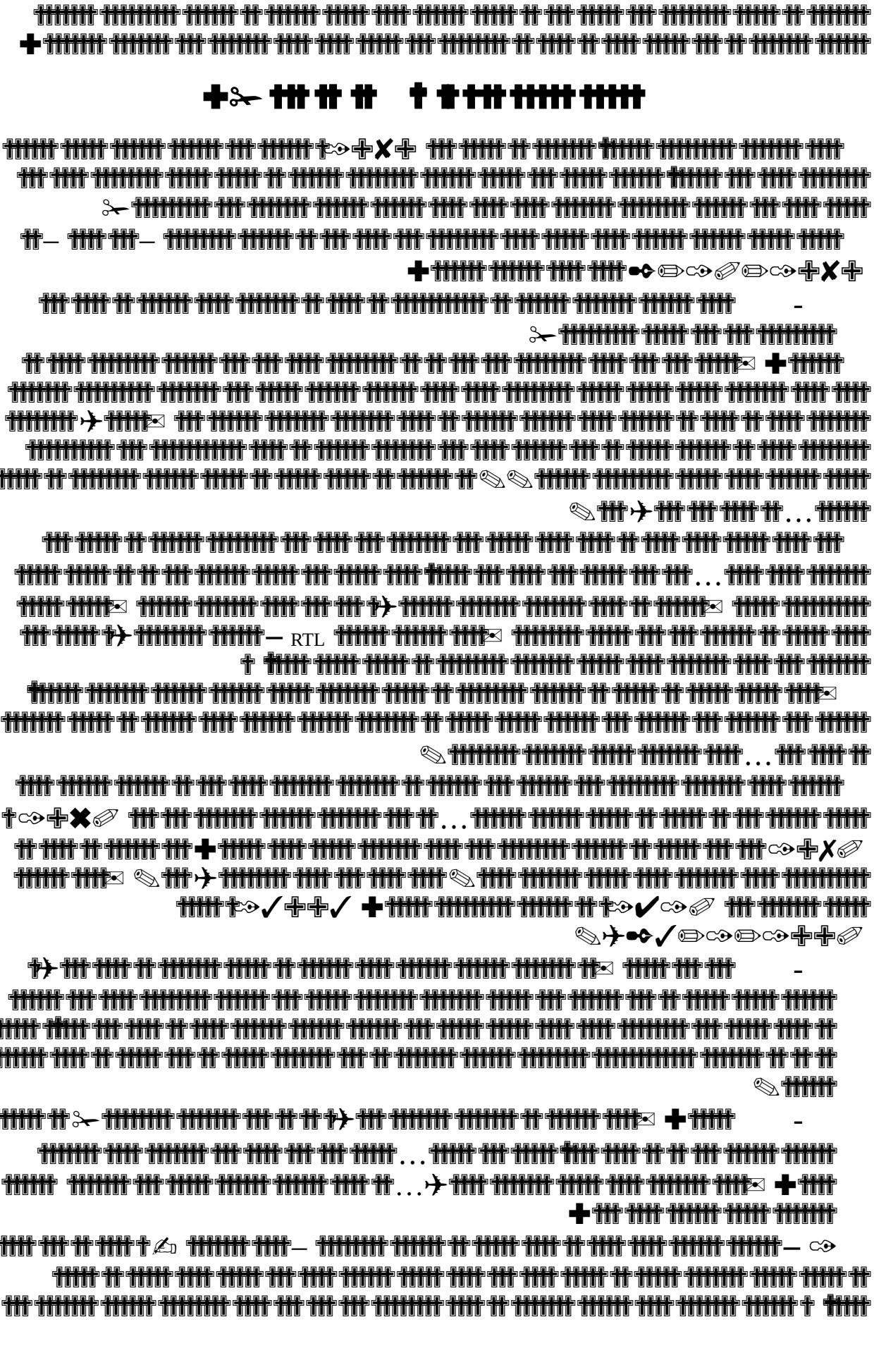

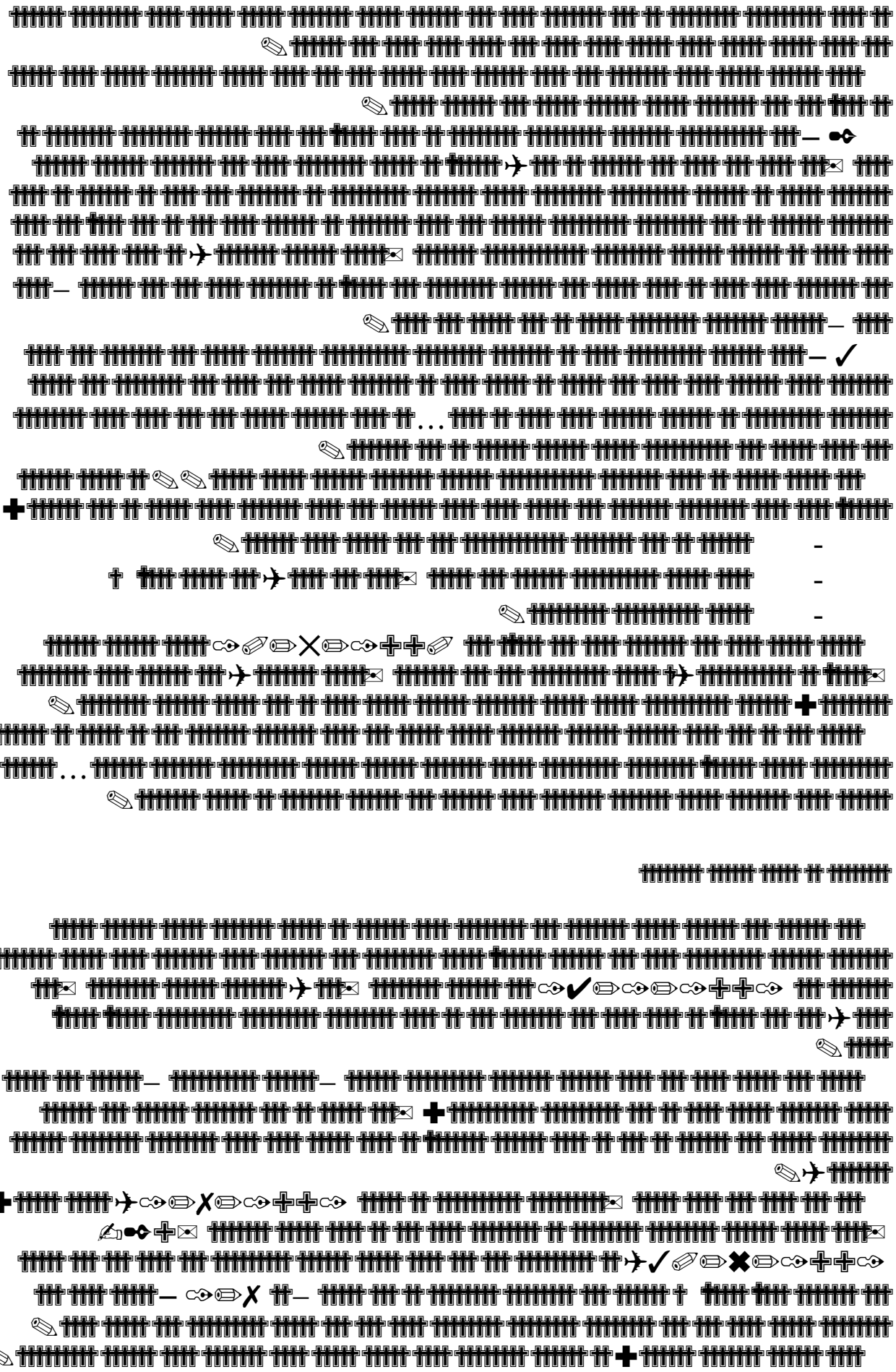

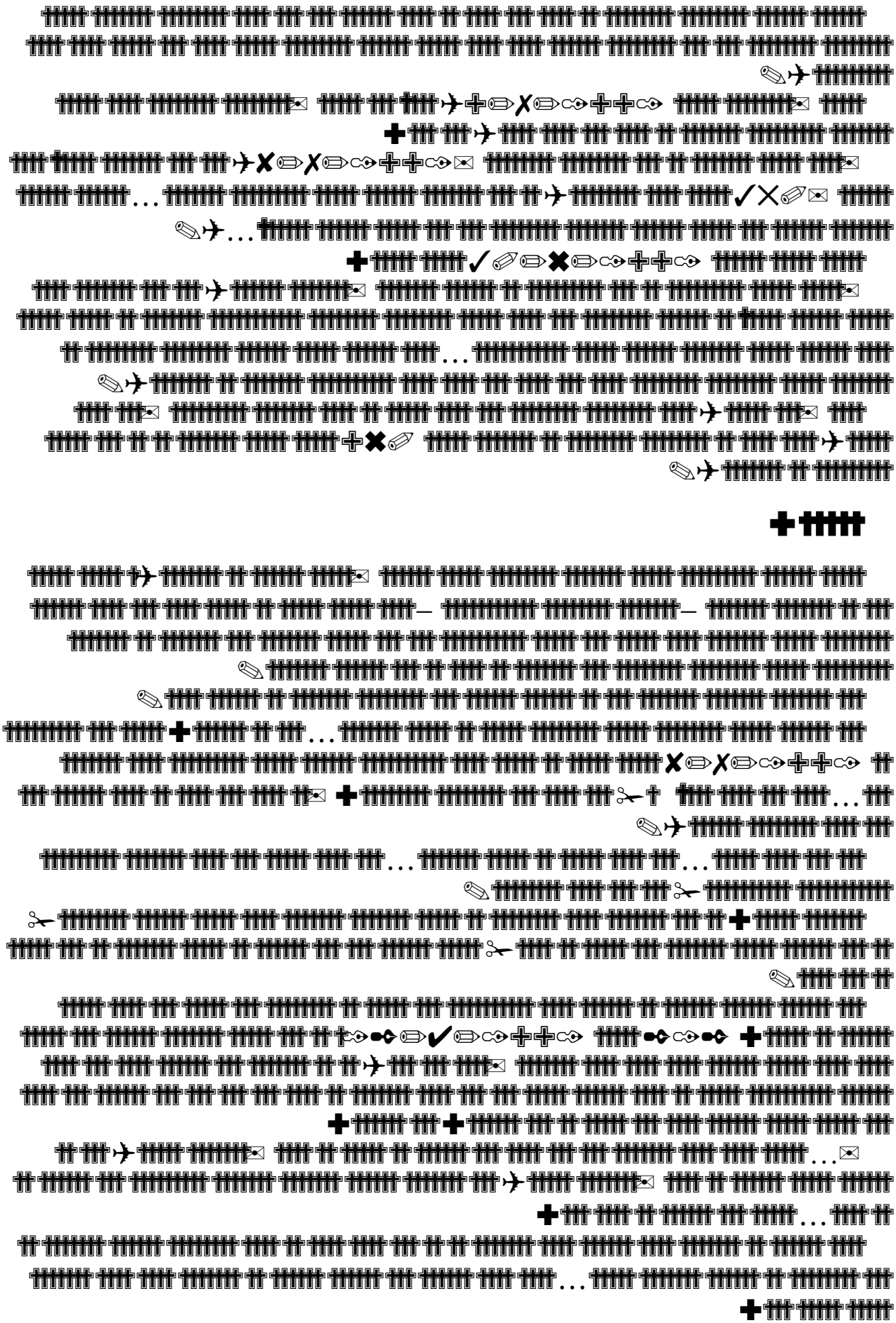

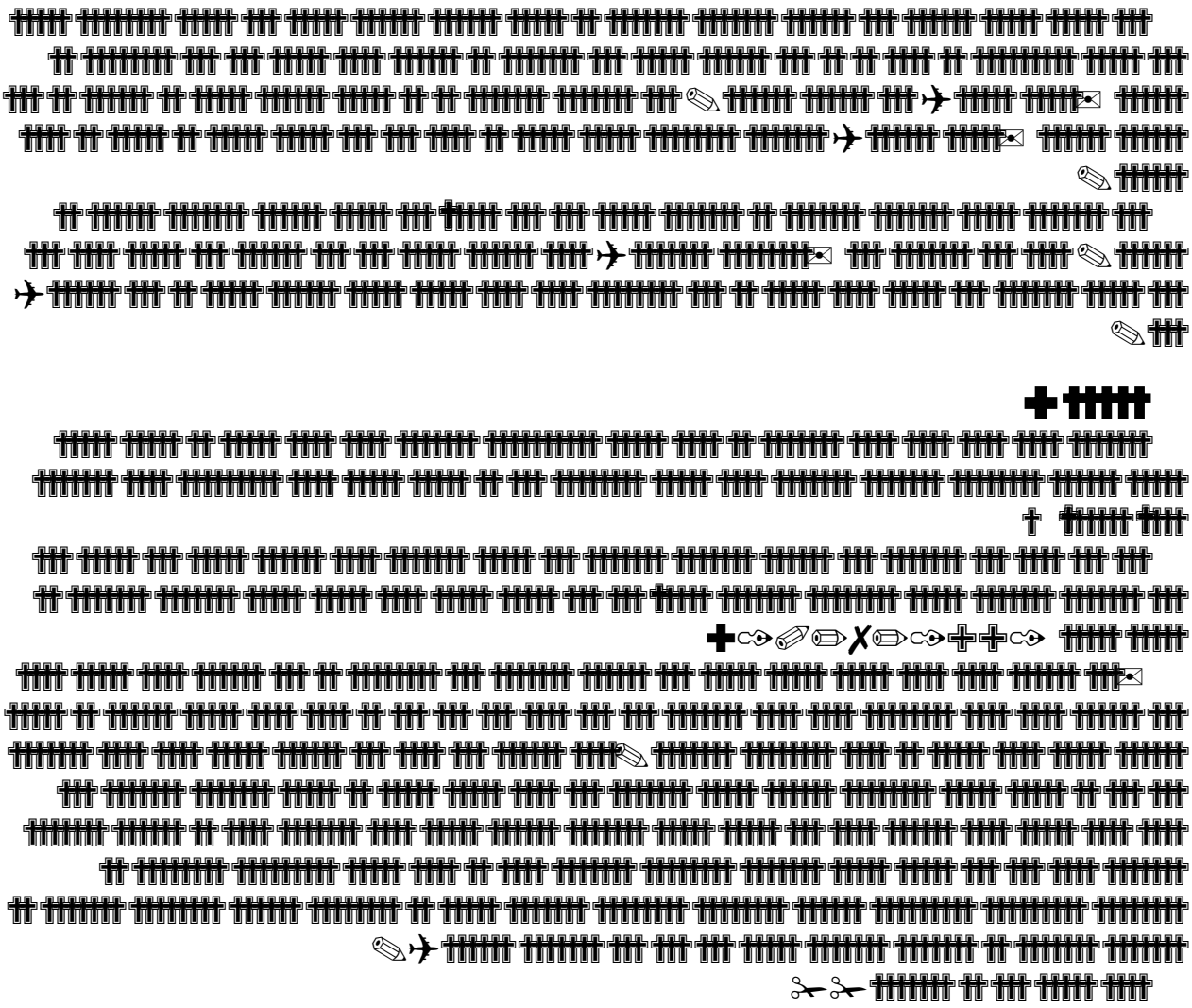

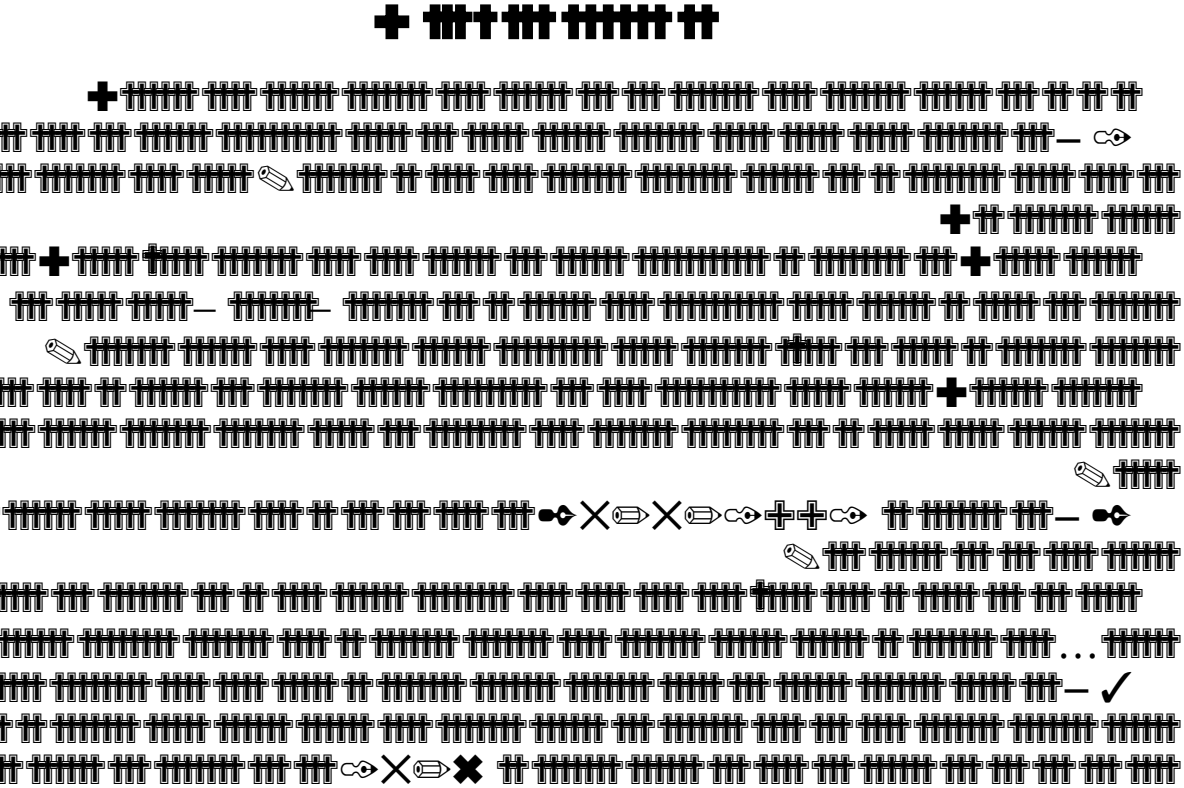

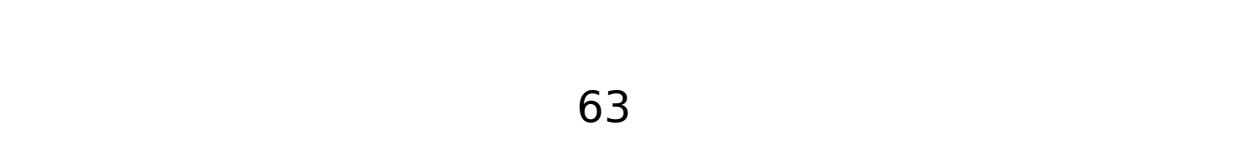

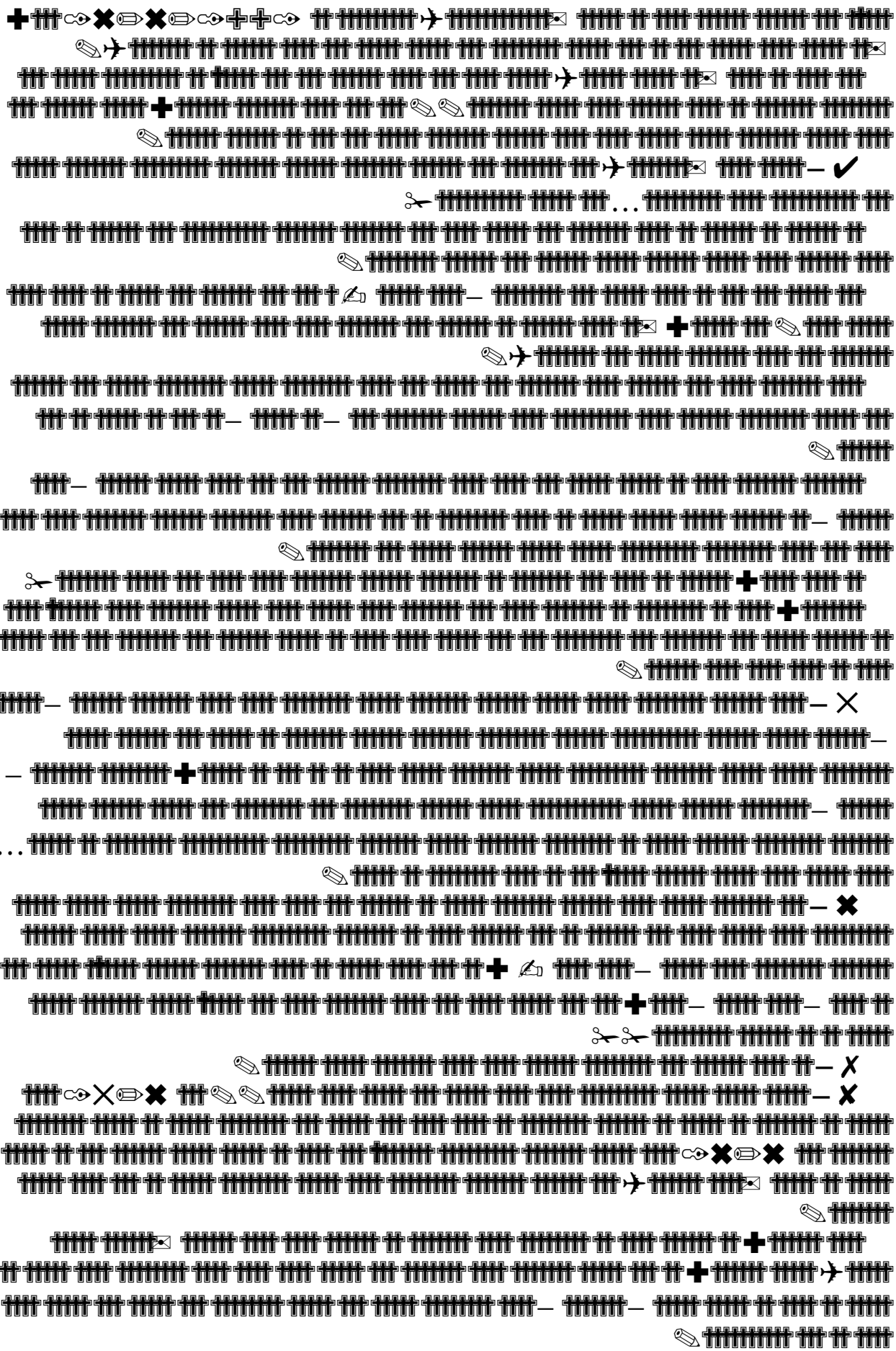

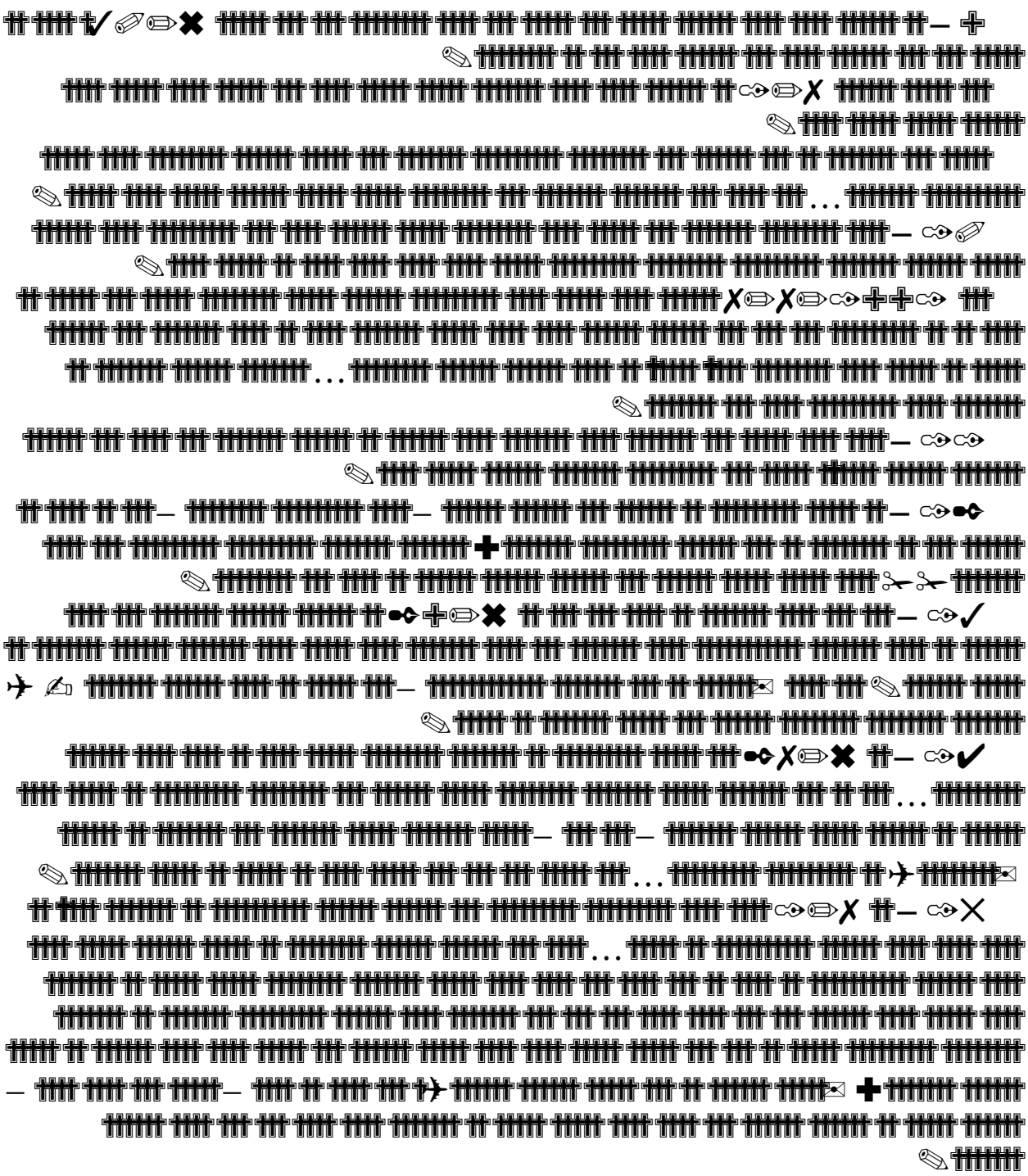

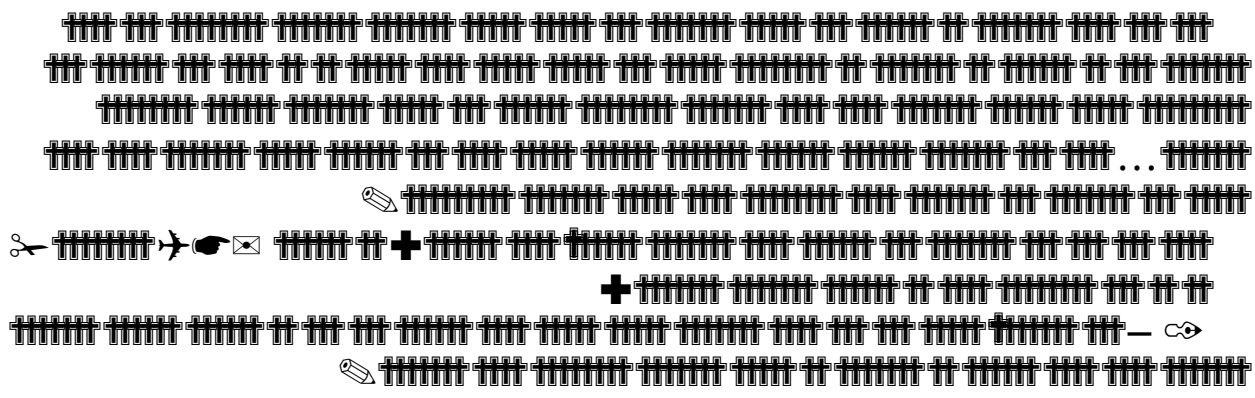

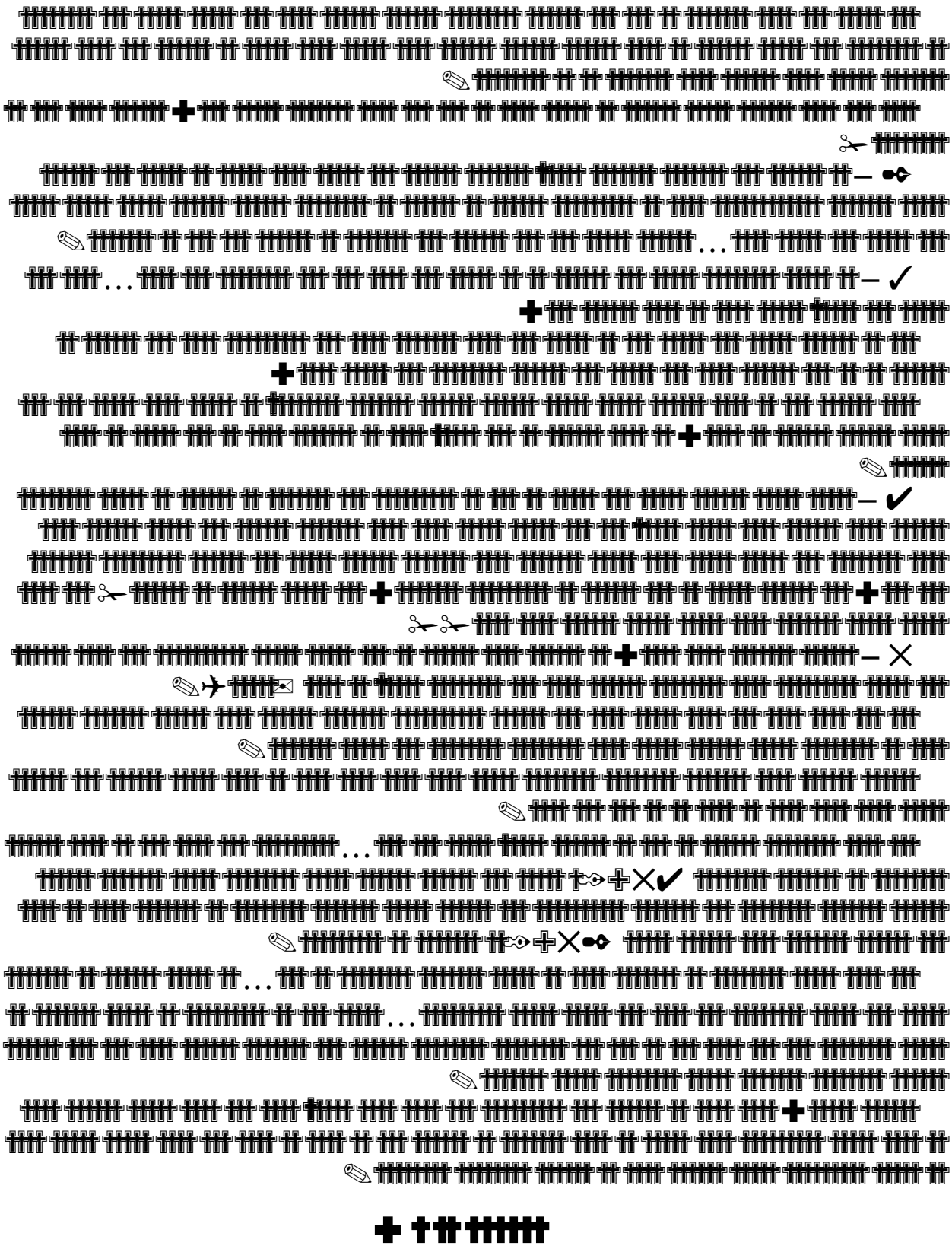

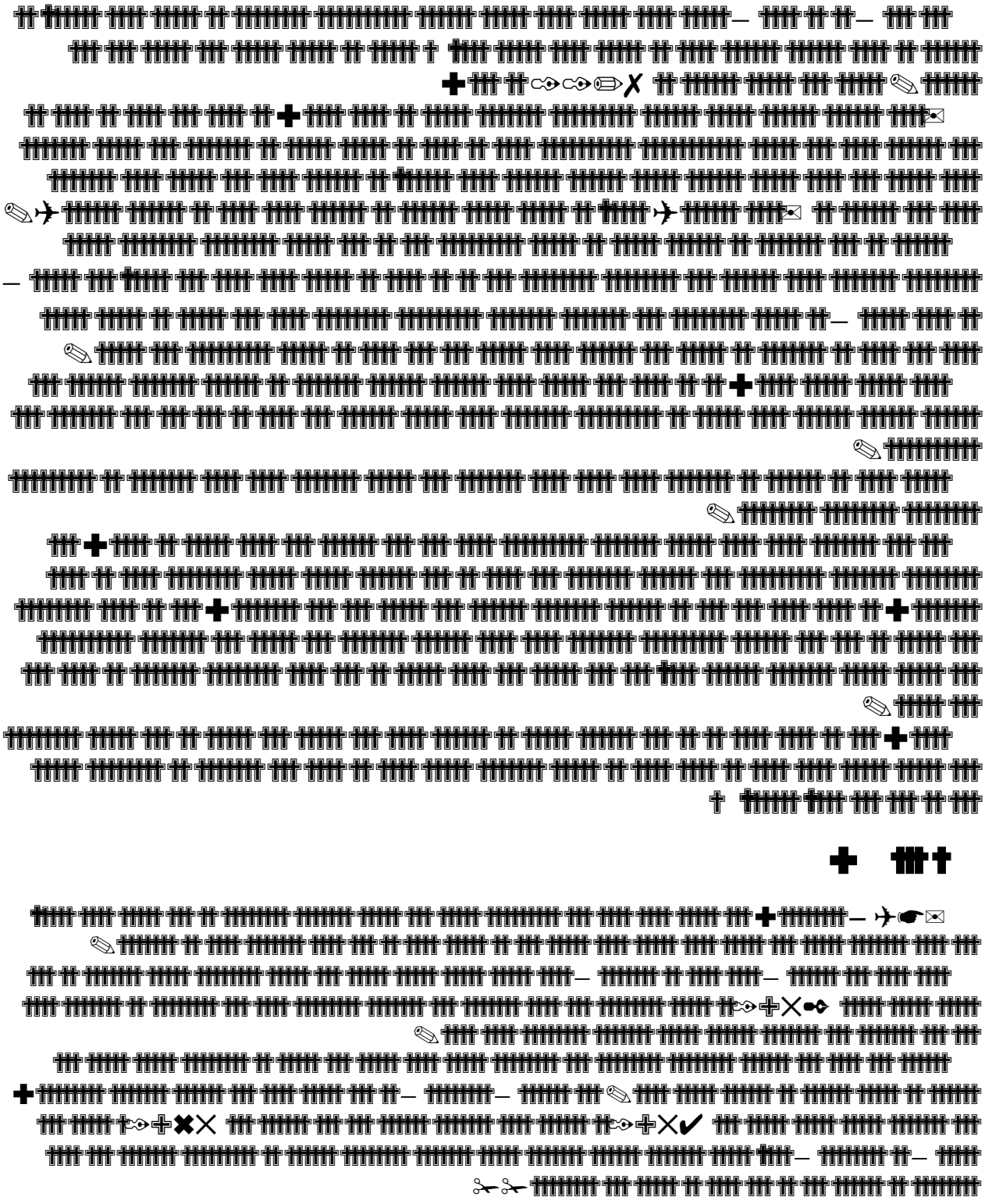

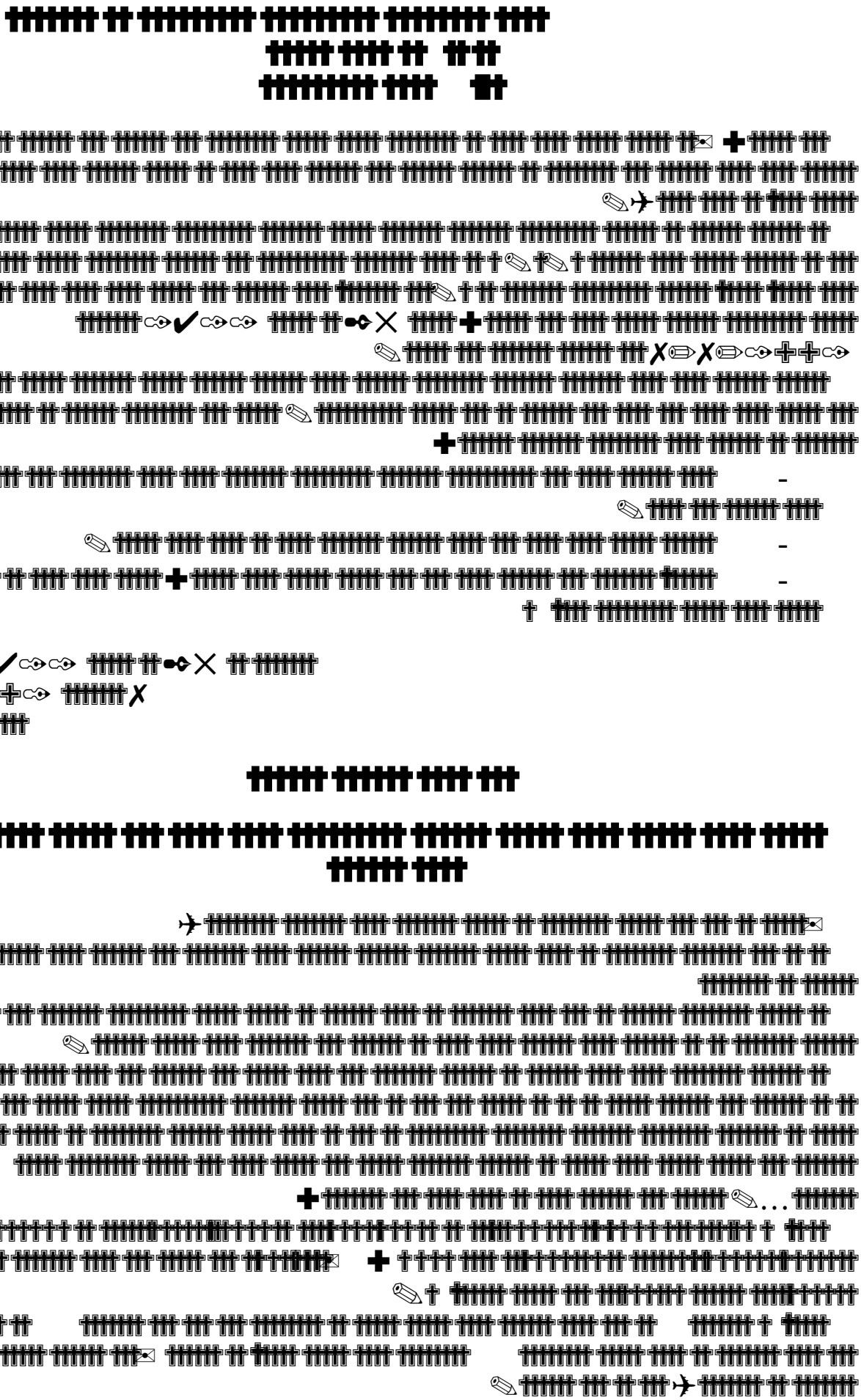

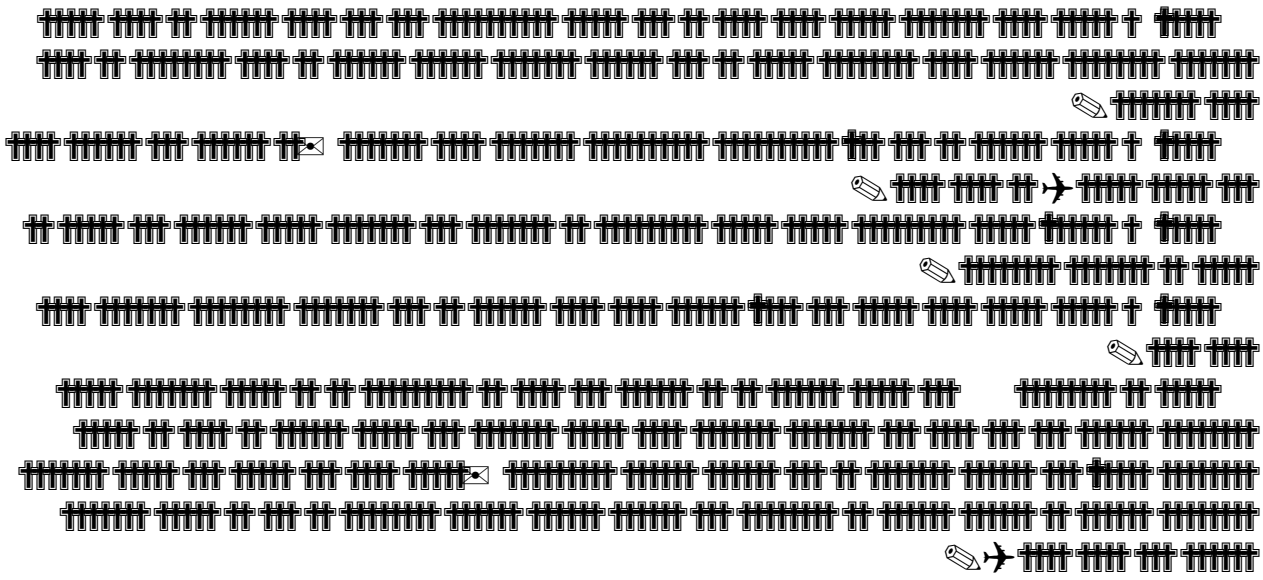

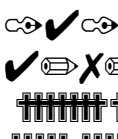

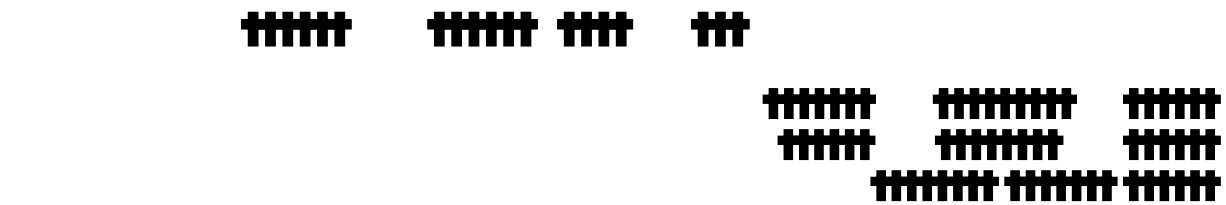

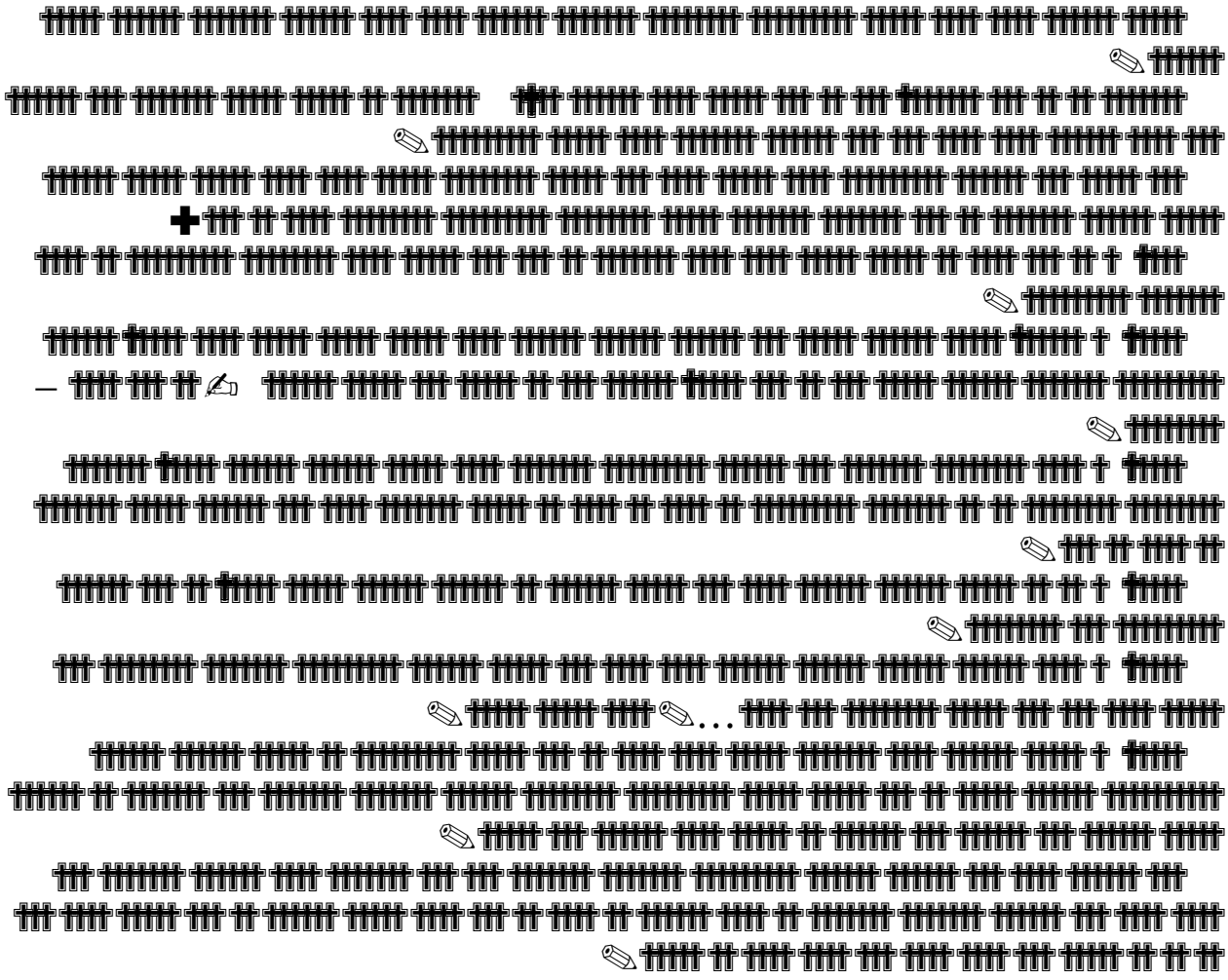

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

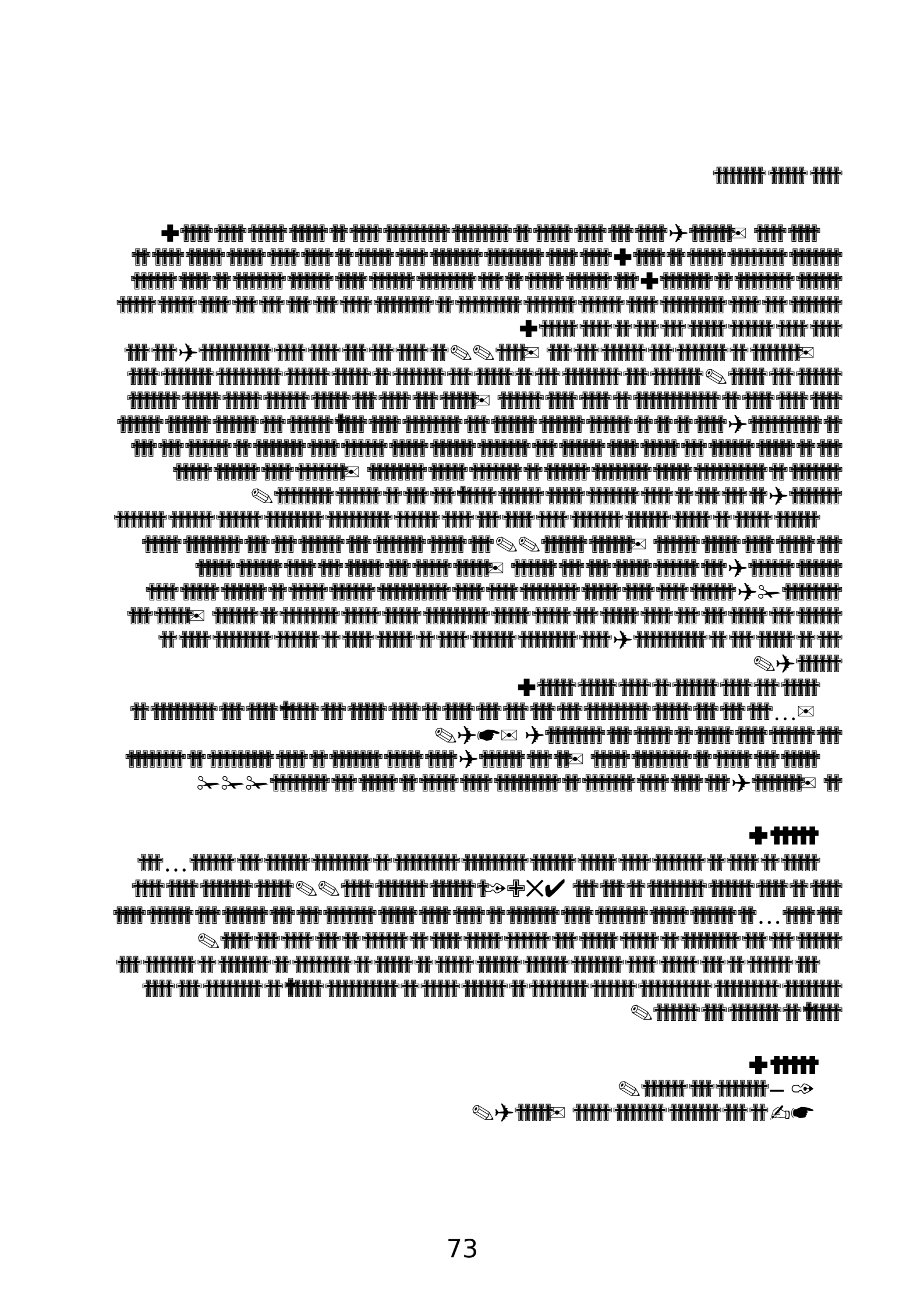

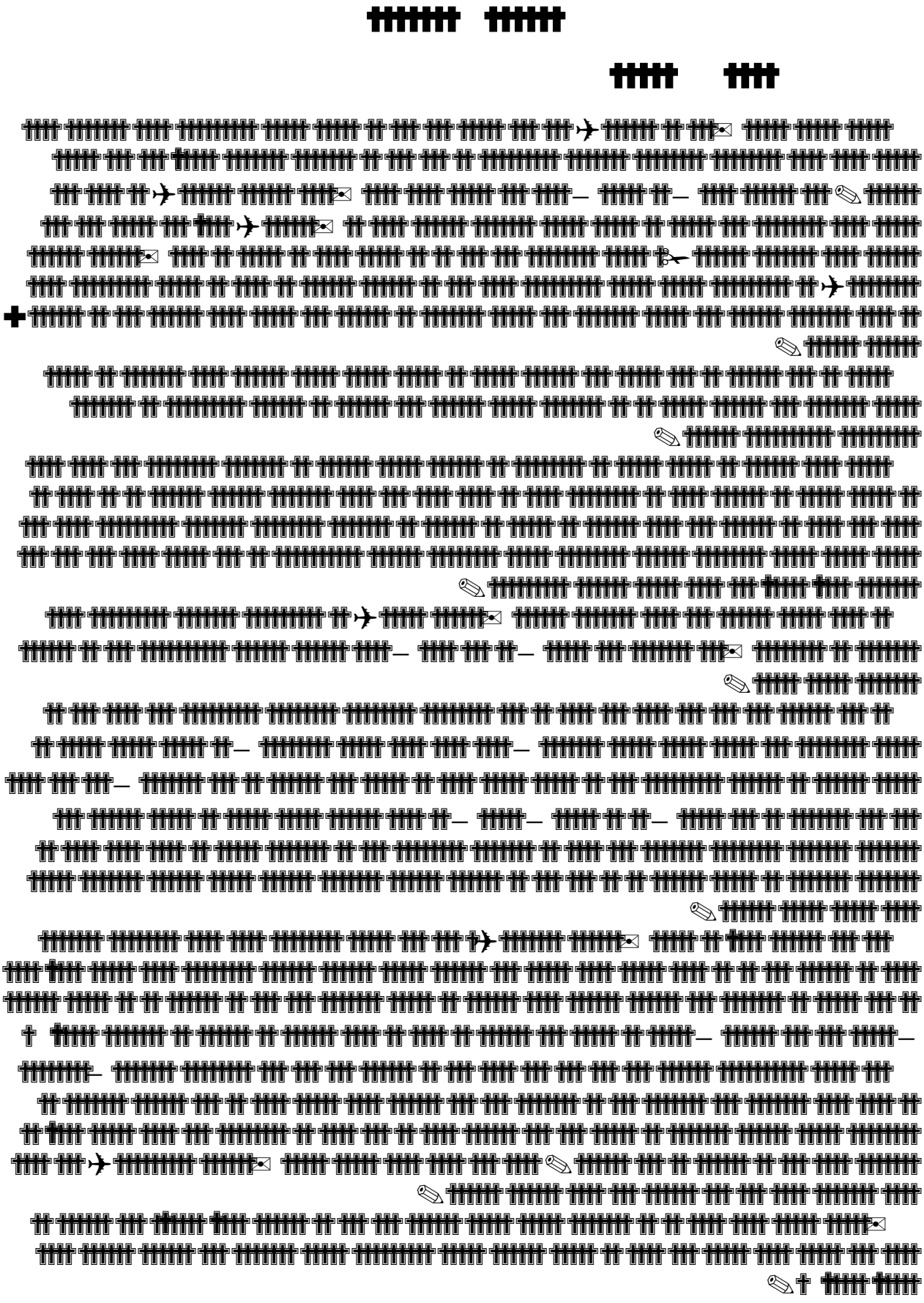

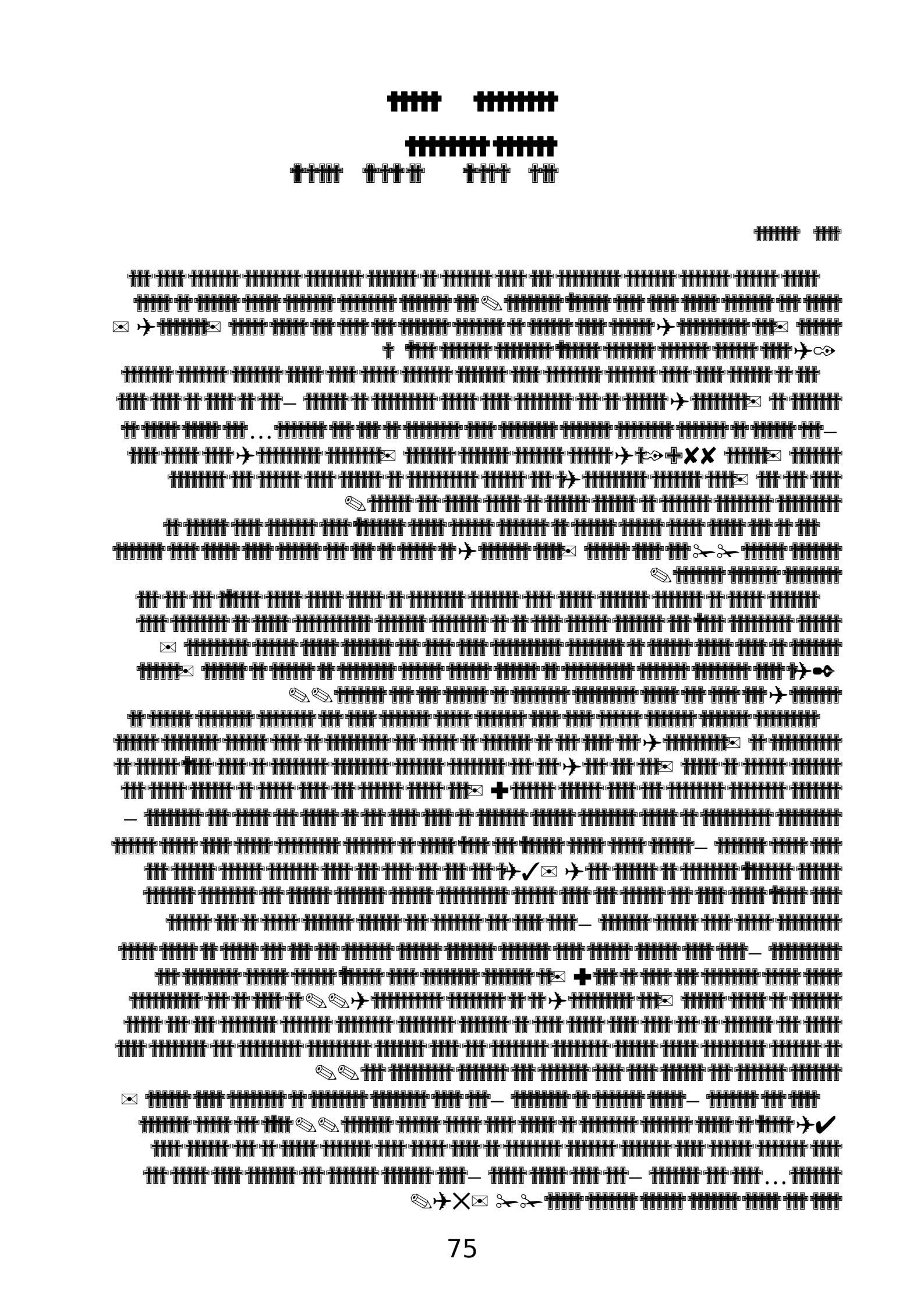

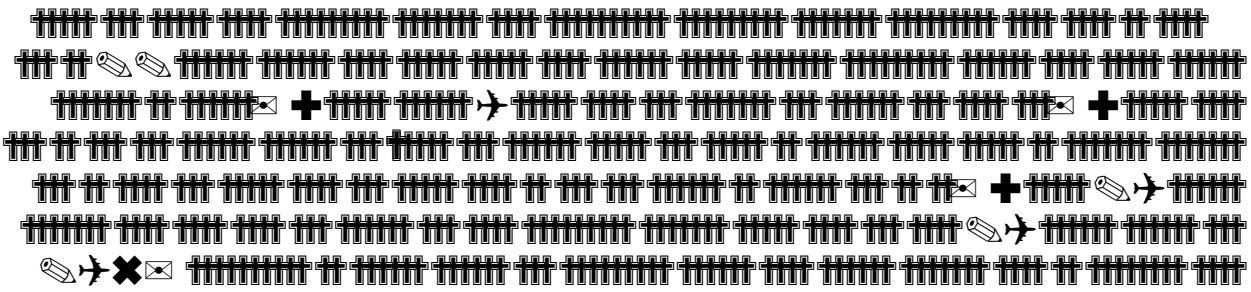

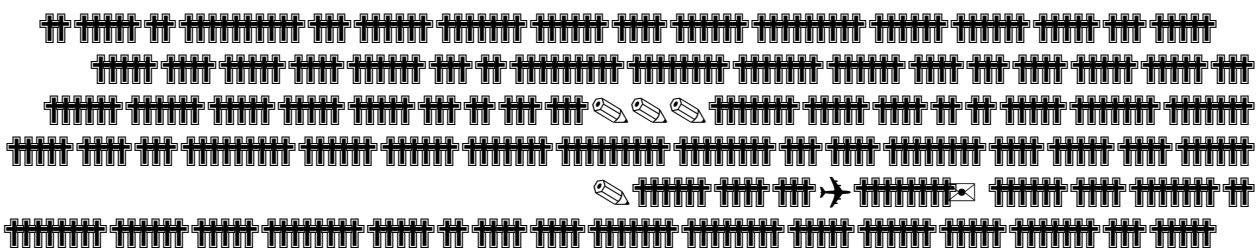

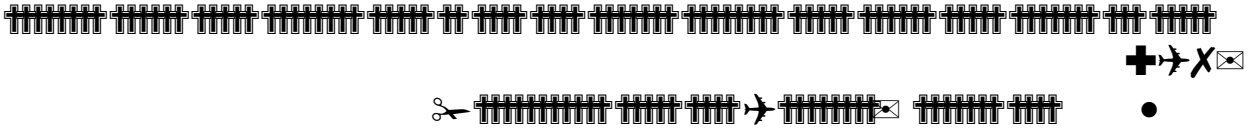

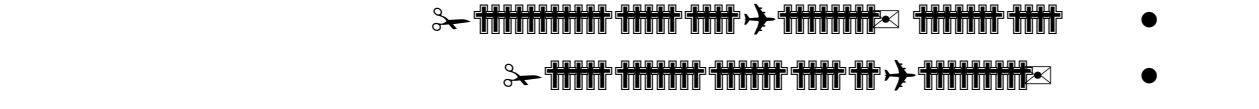

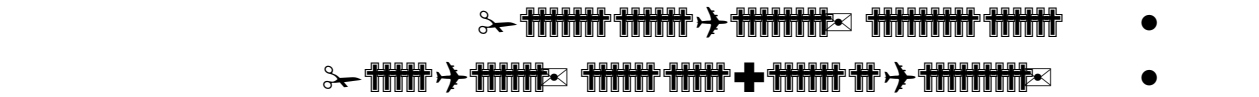

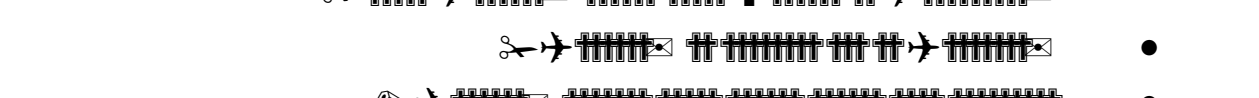

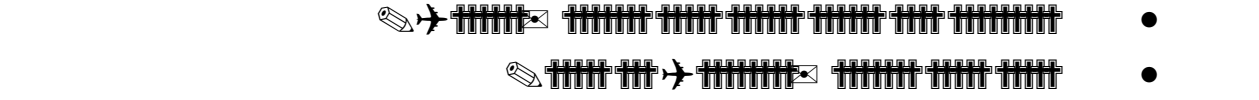

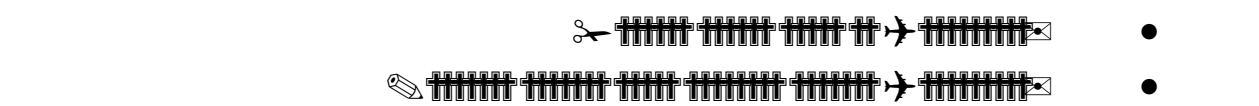

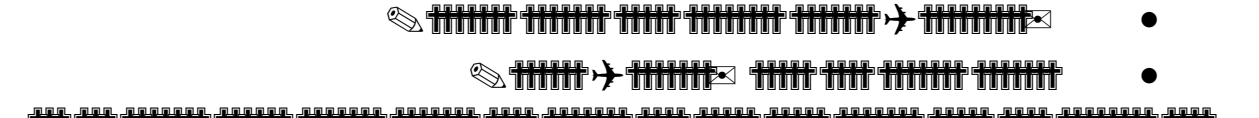

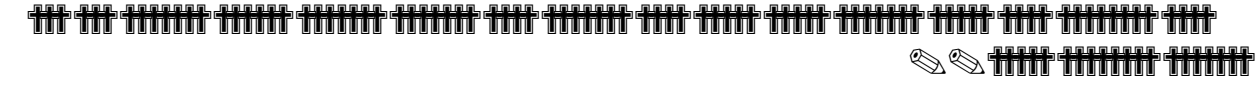

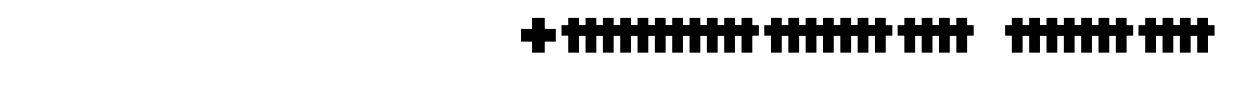

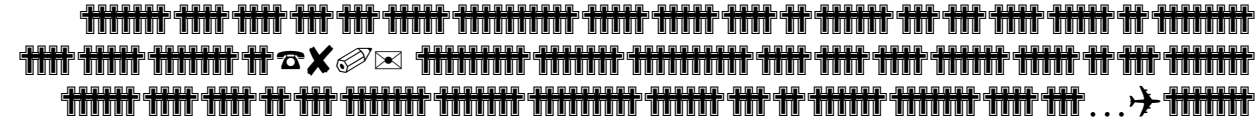

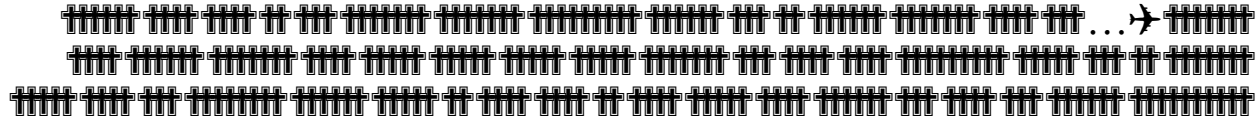

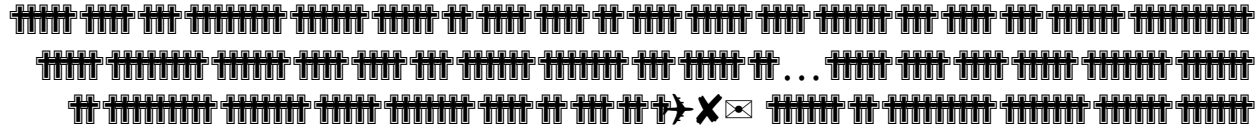

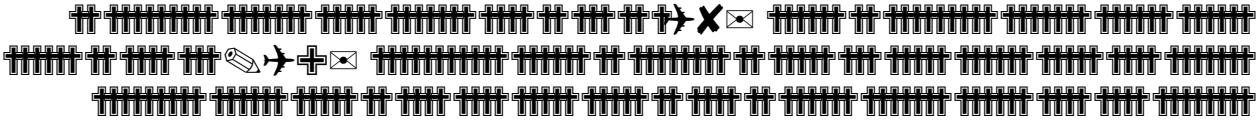

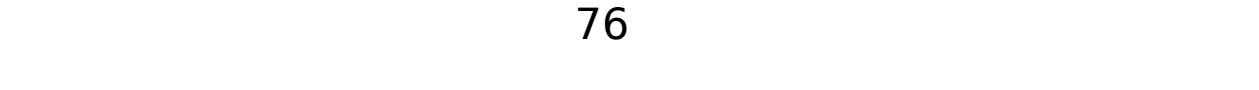

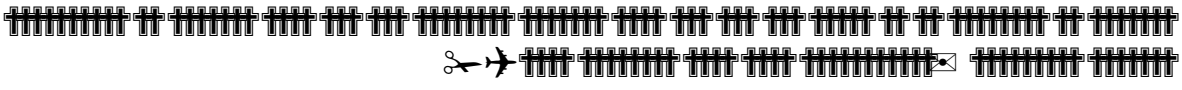

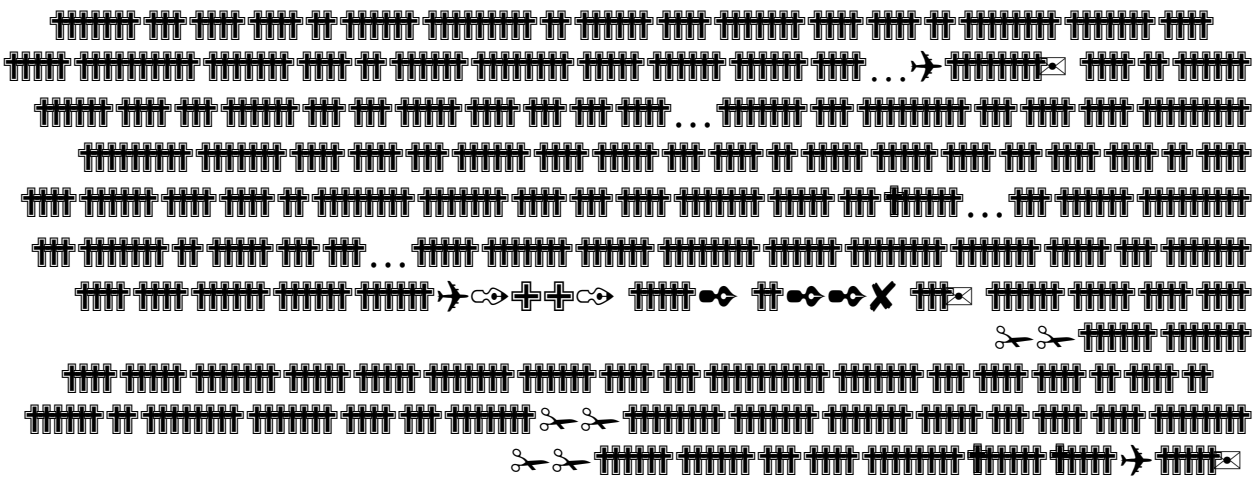

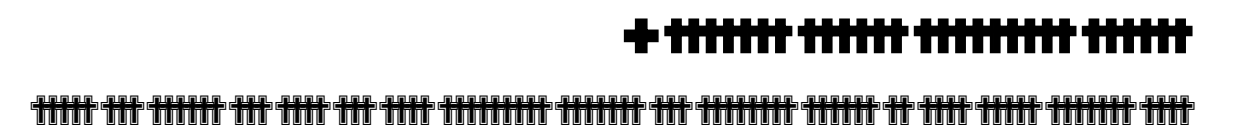

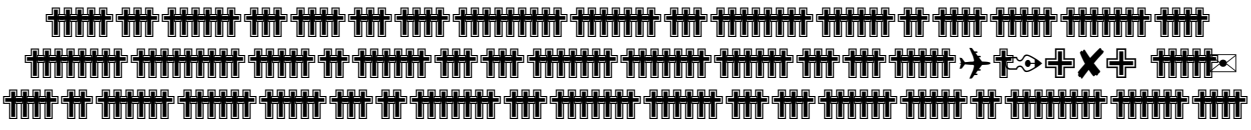

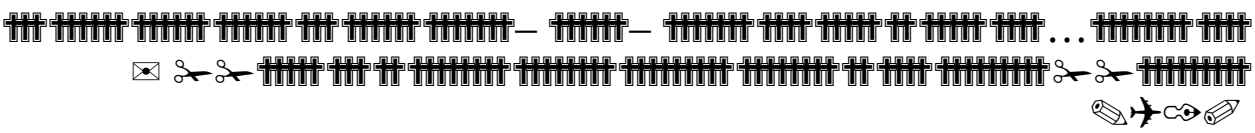

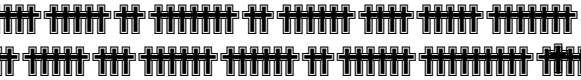

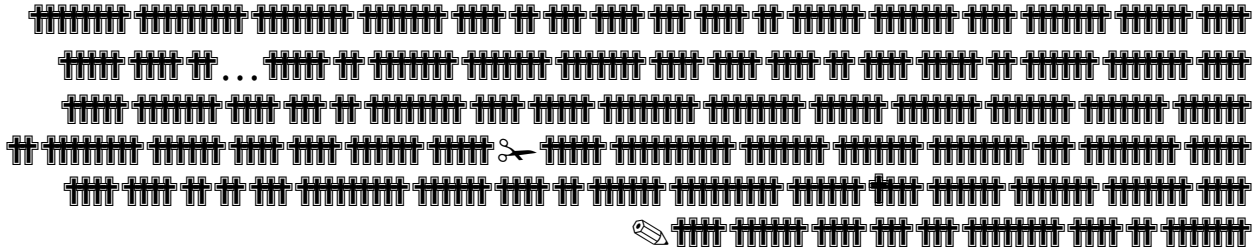

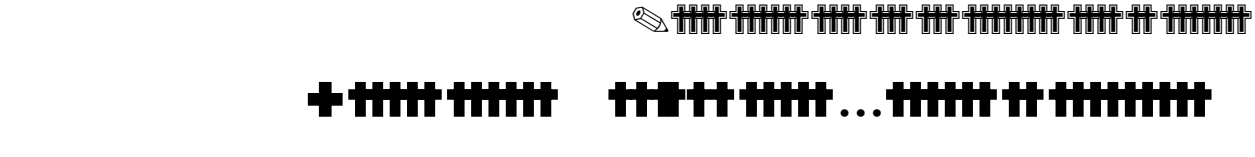

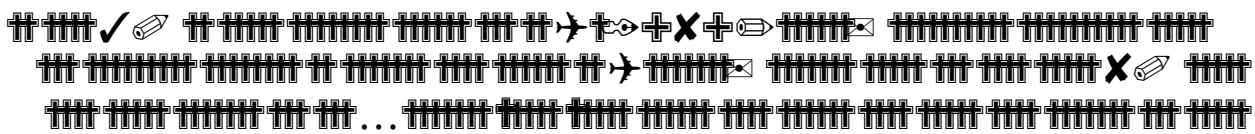

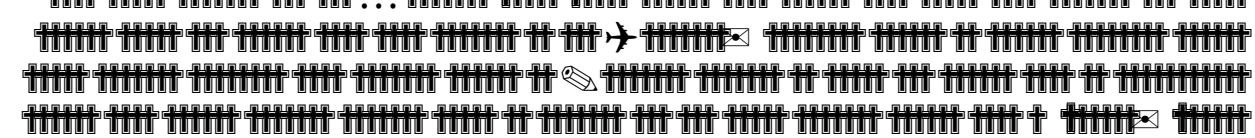

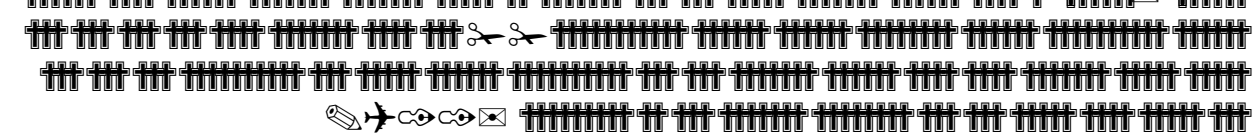

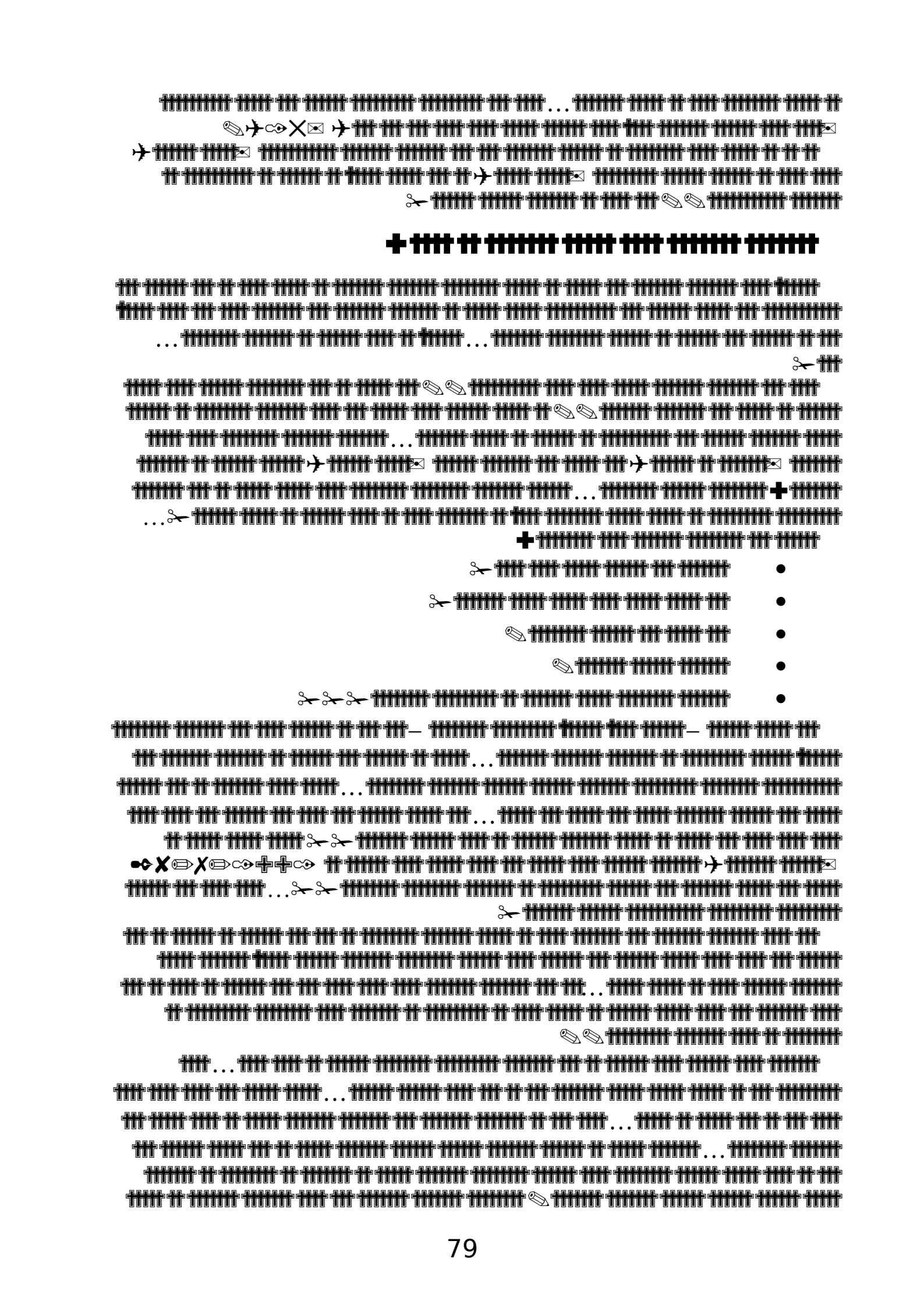

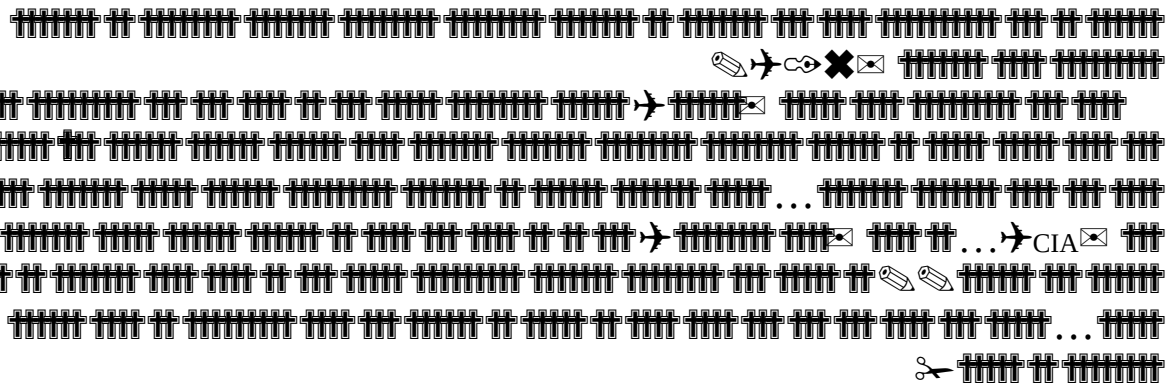

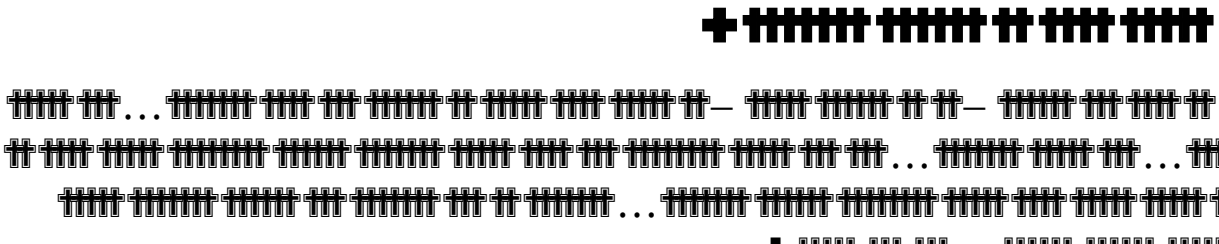

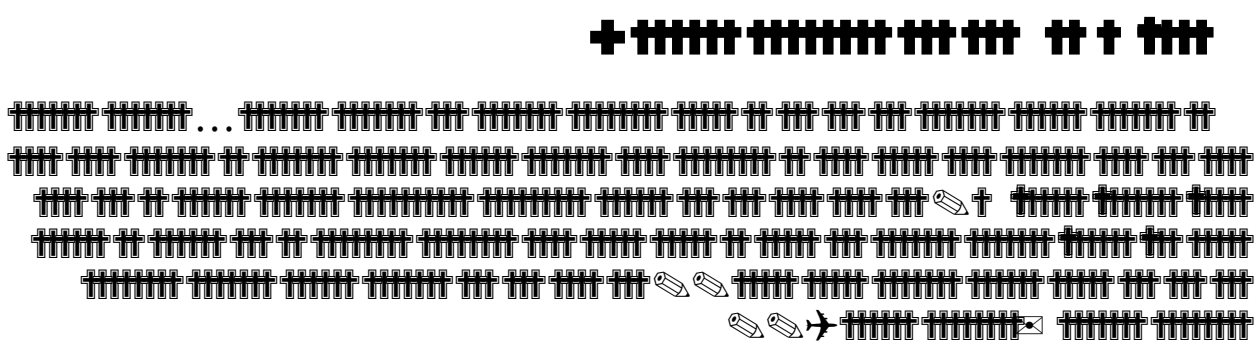

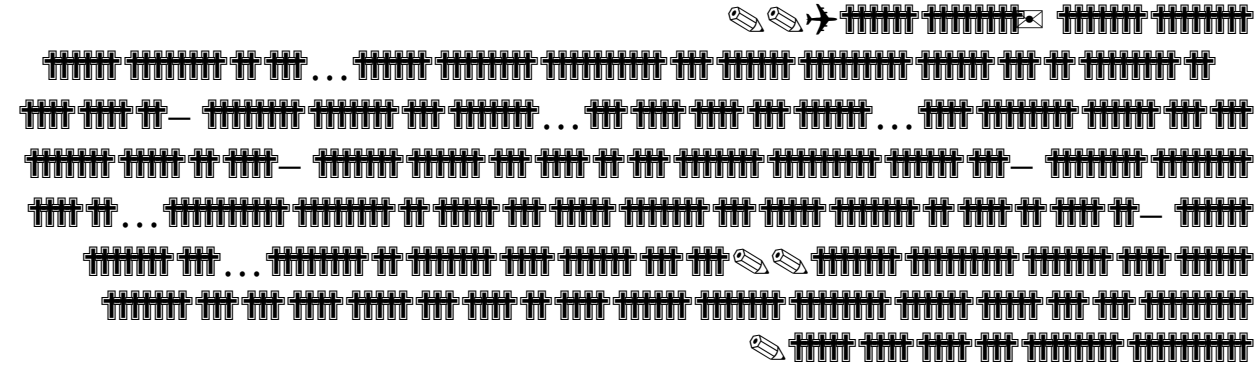

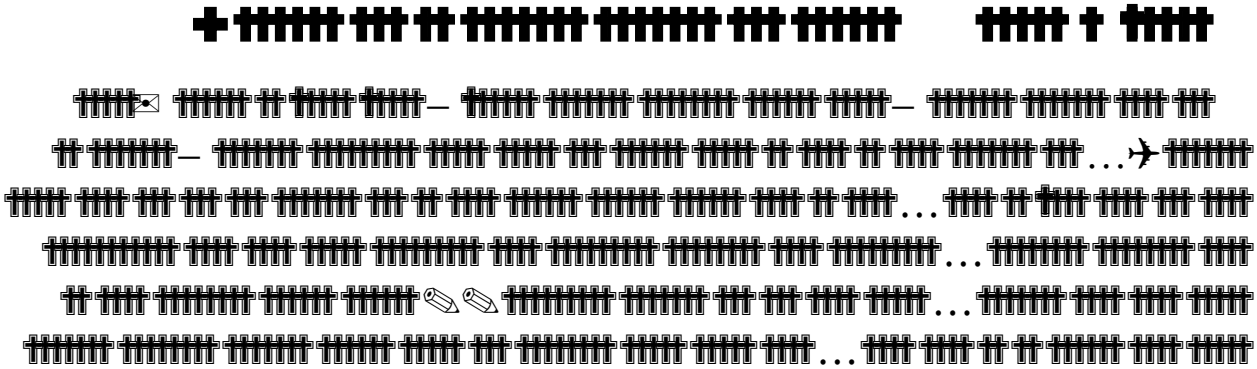

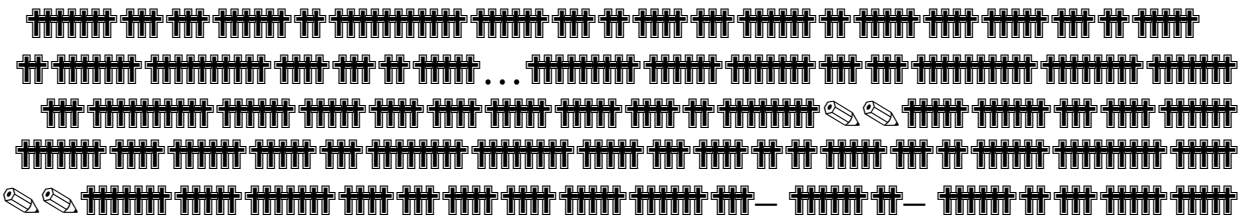

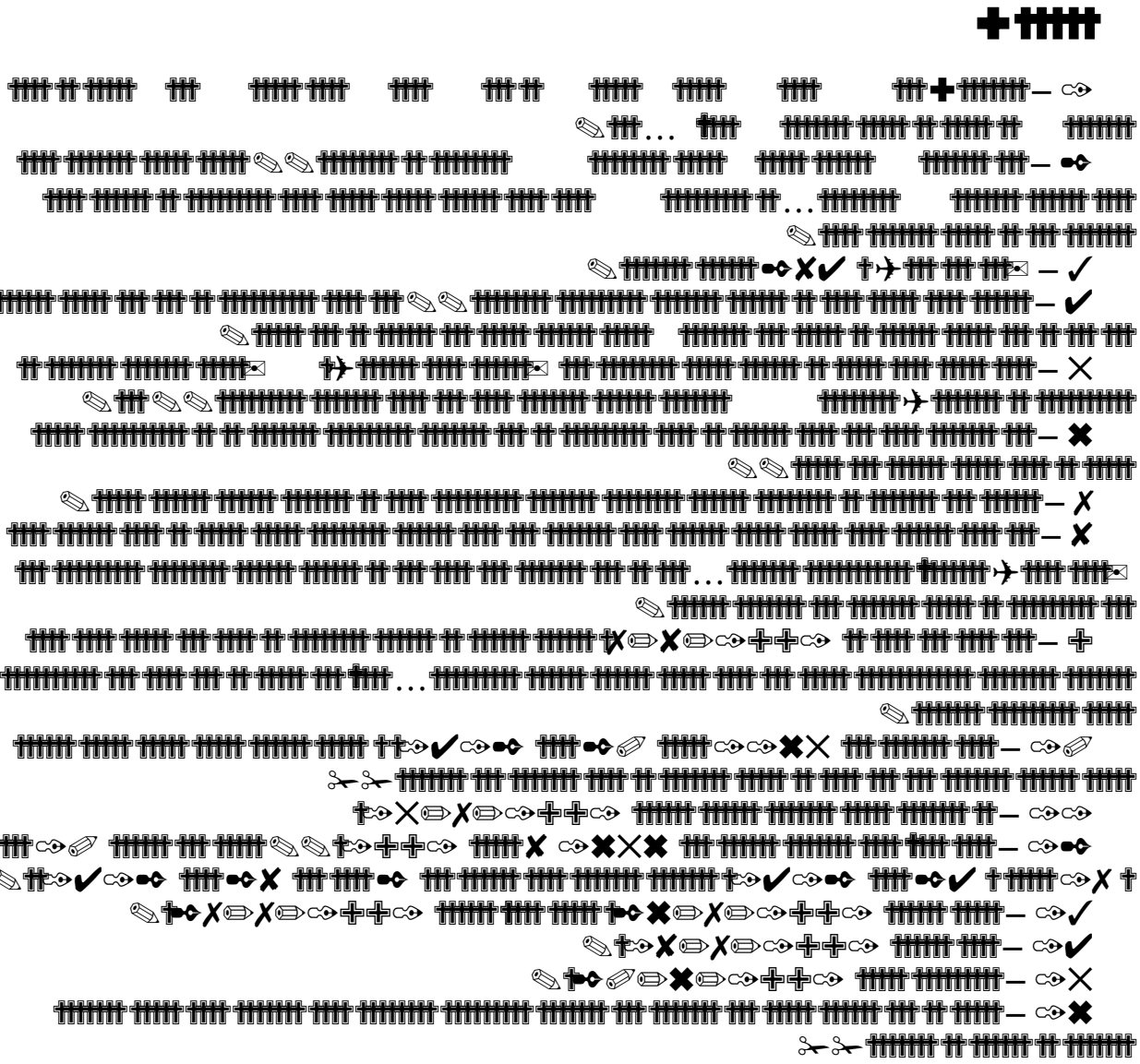

[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]

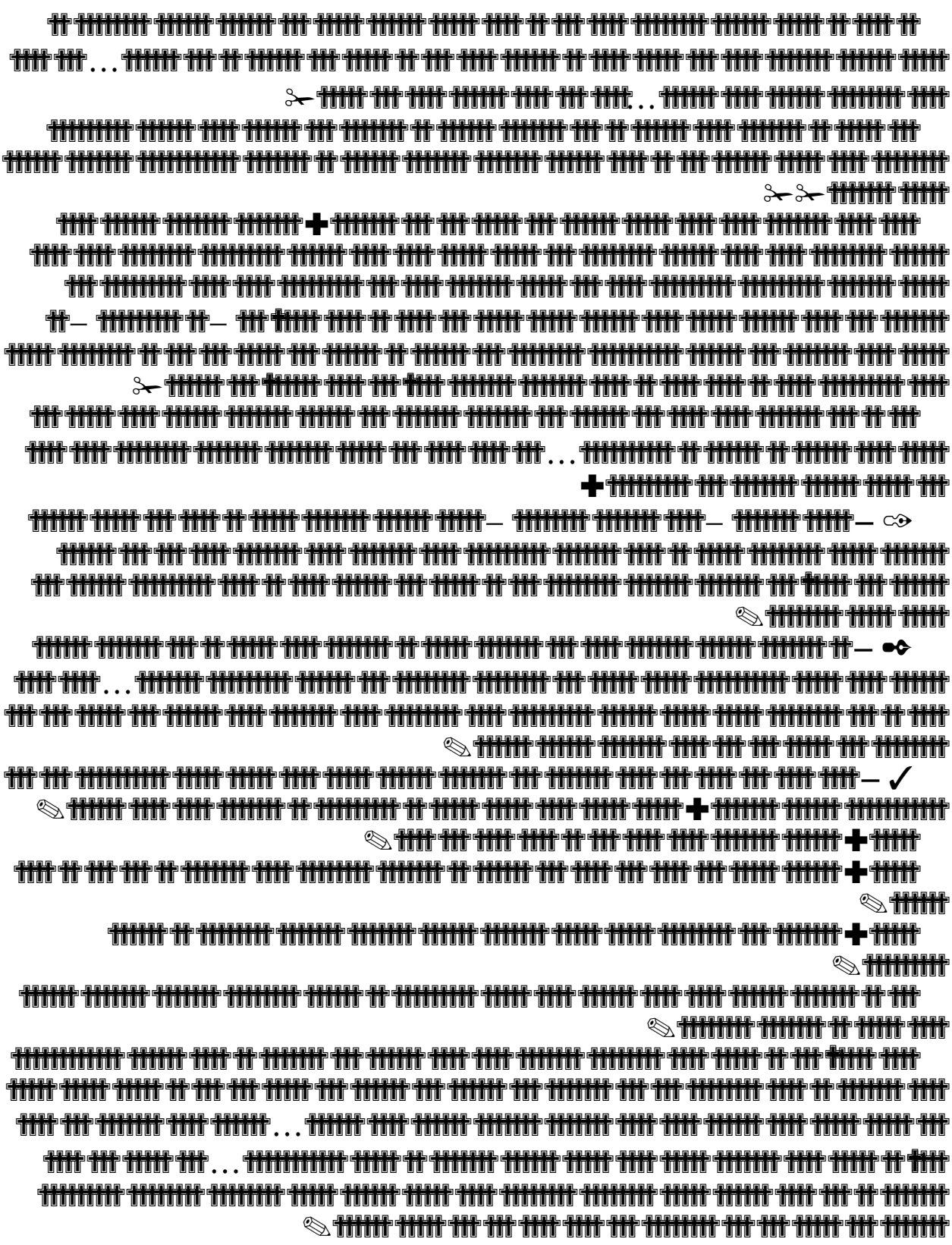

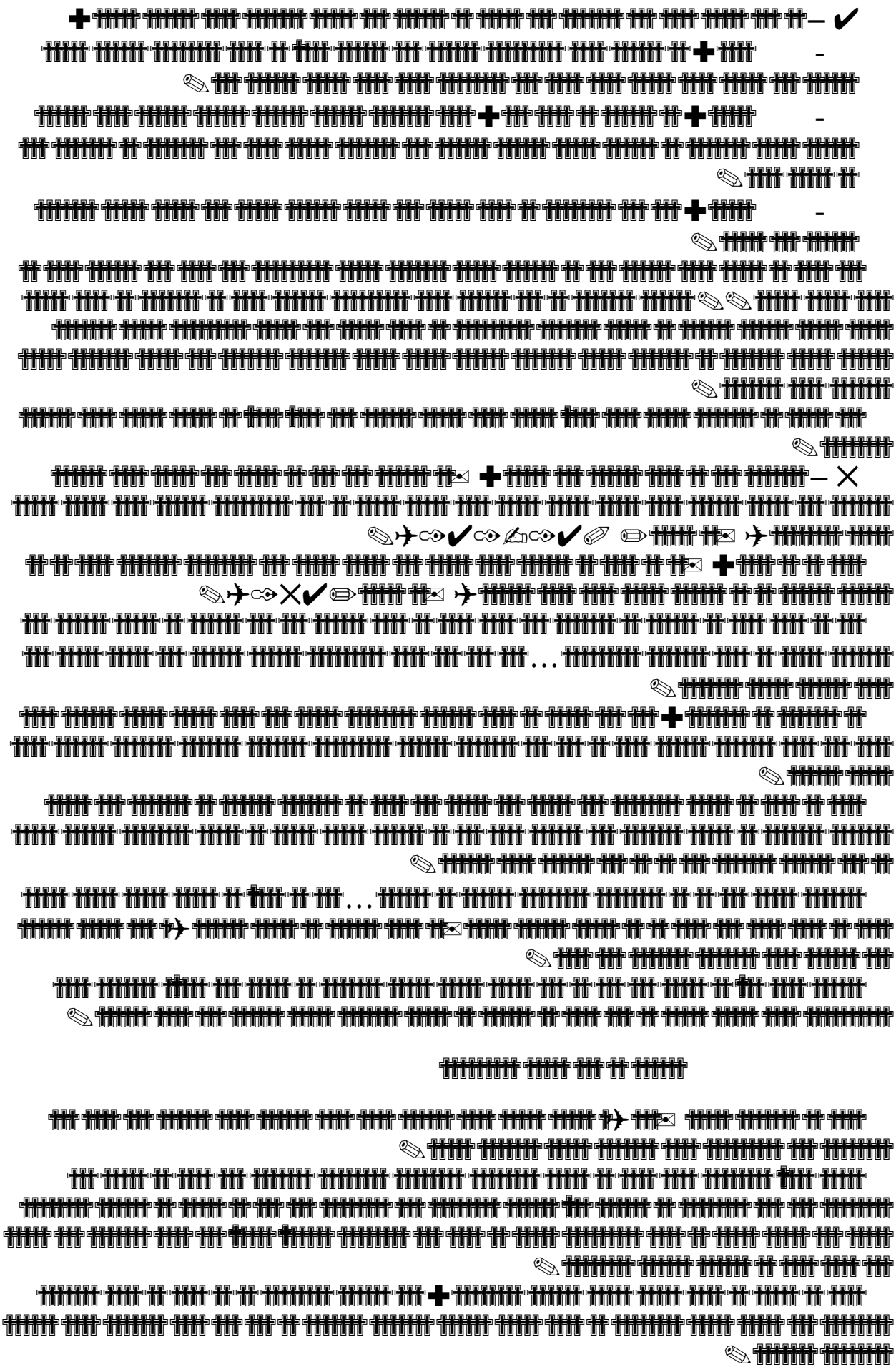

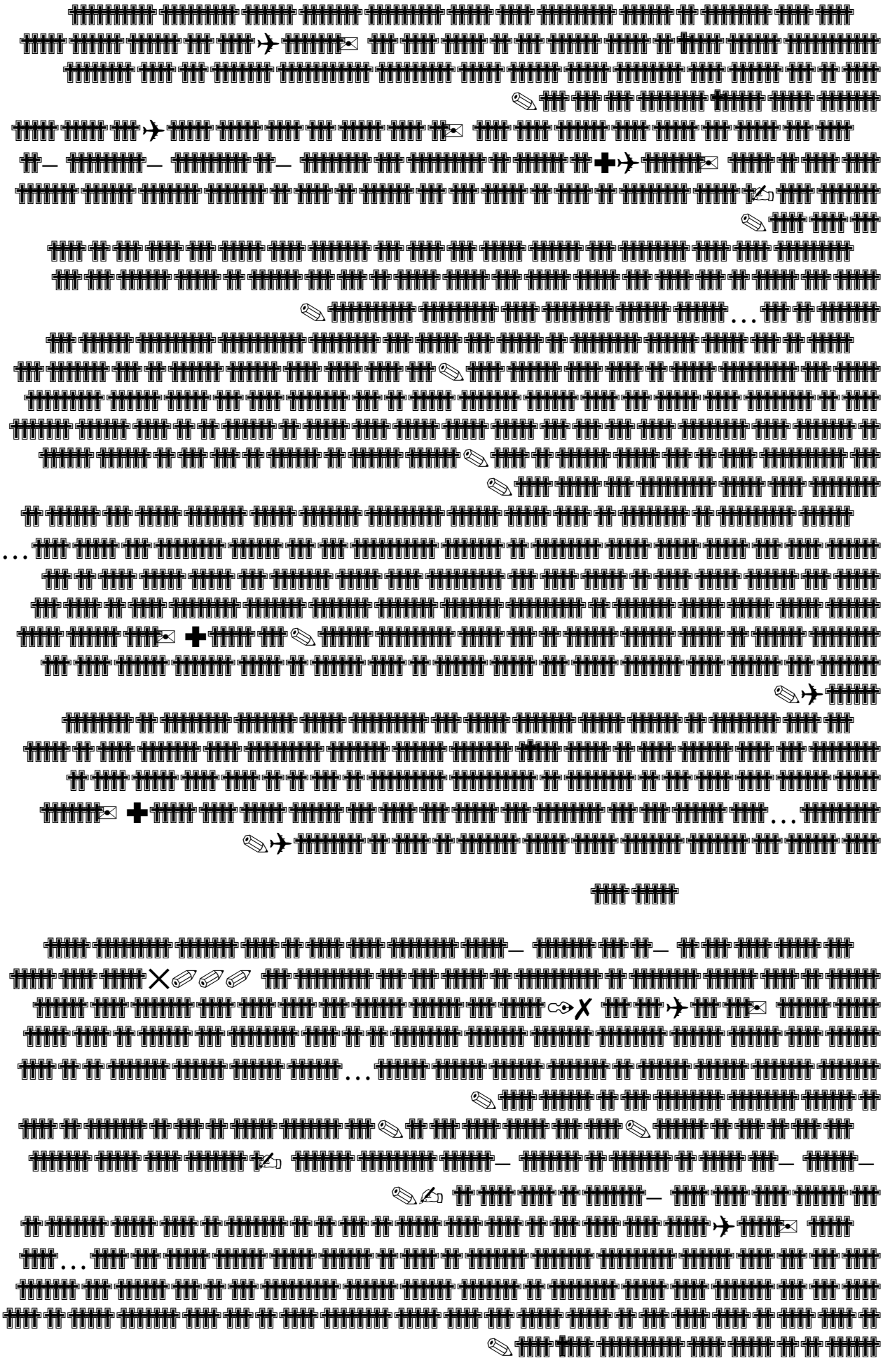

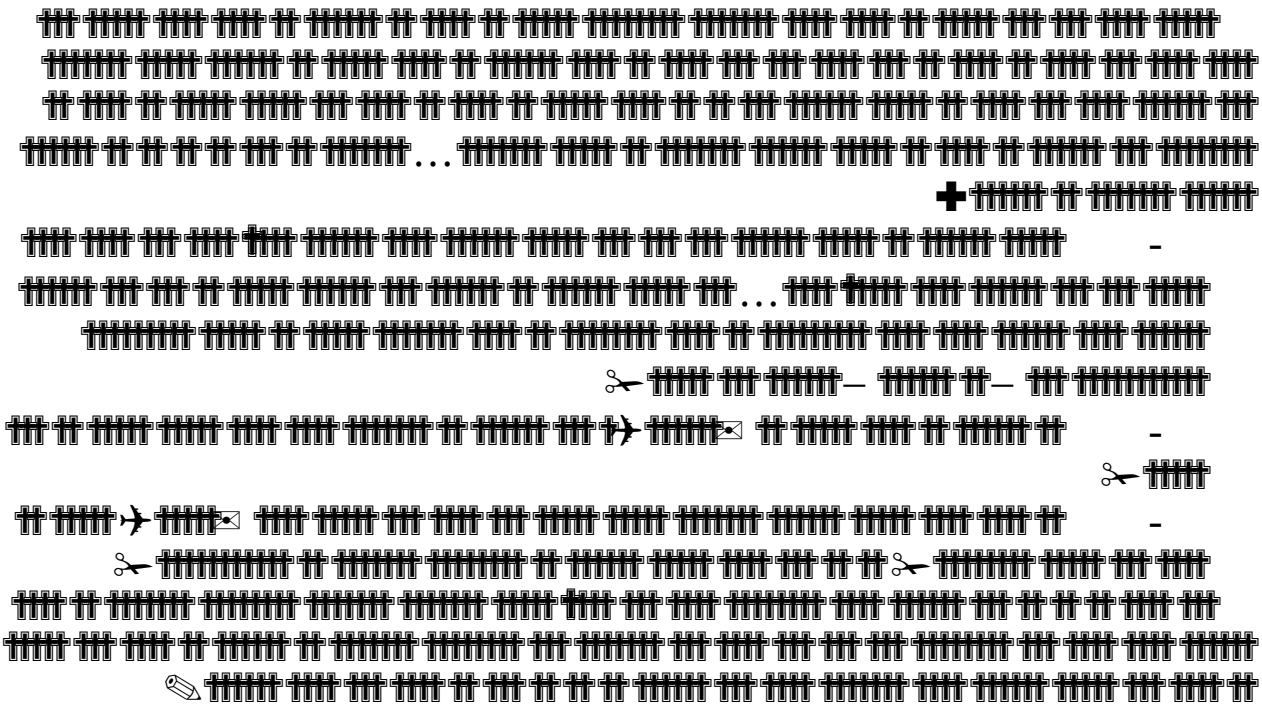

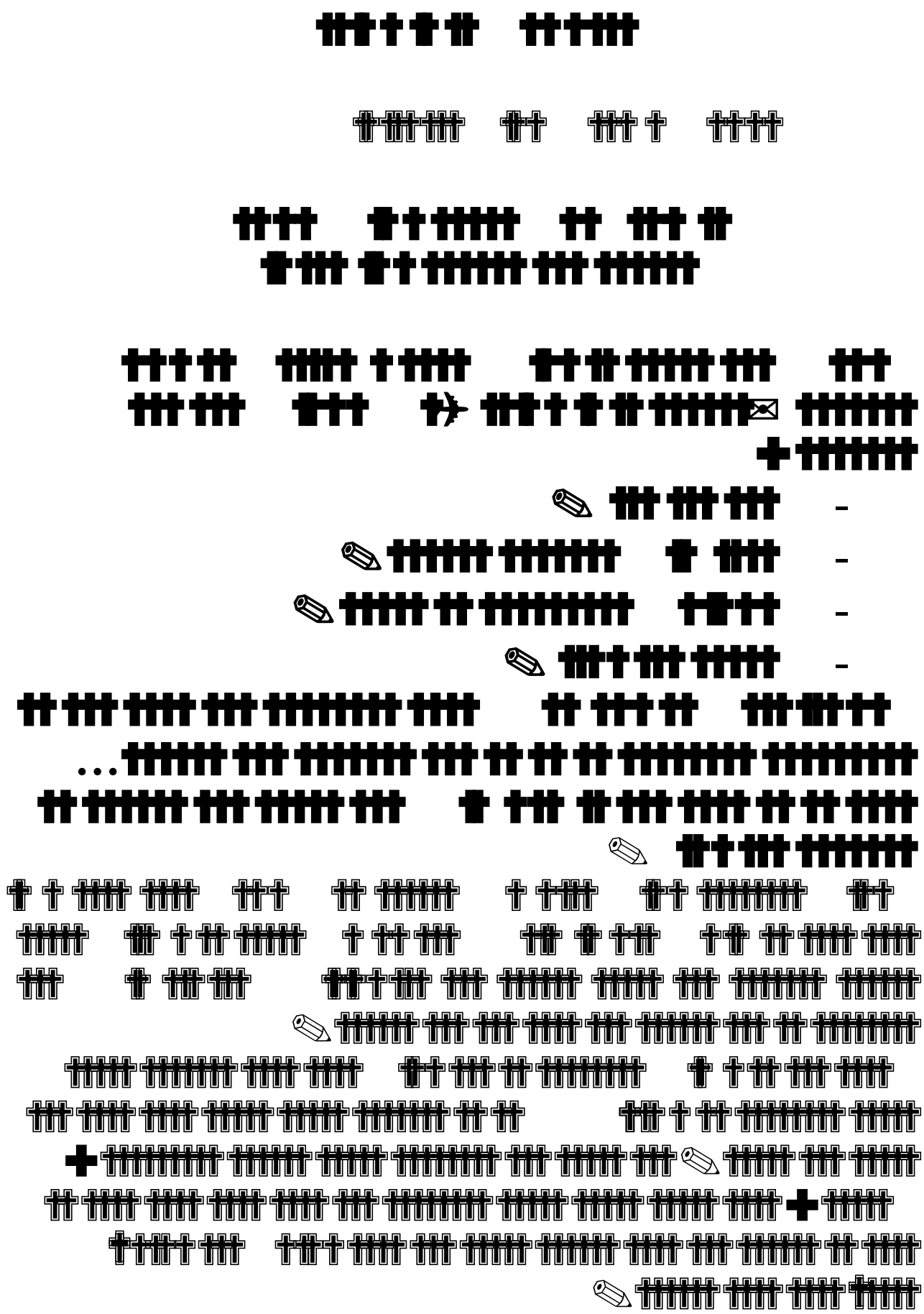

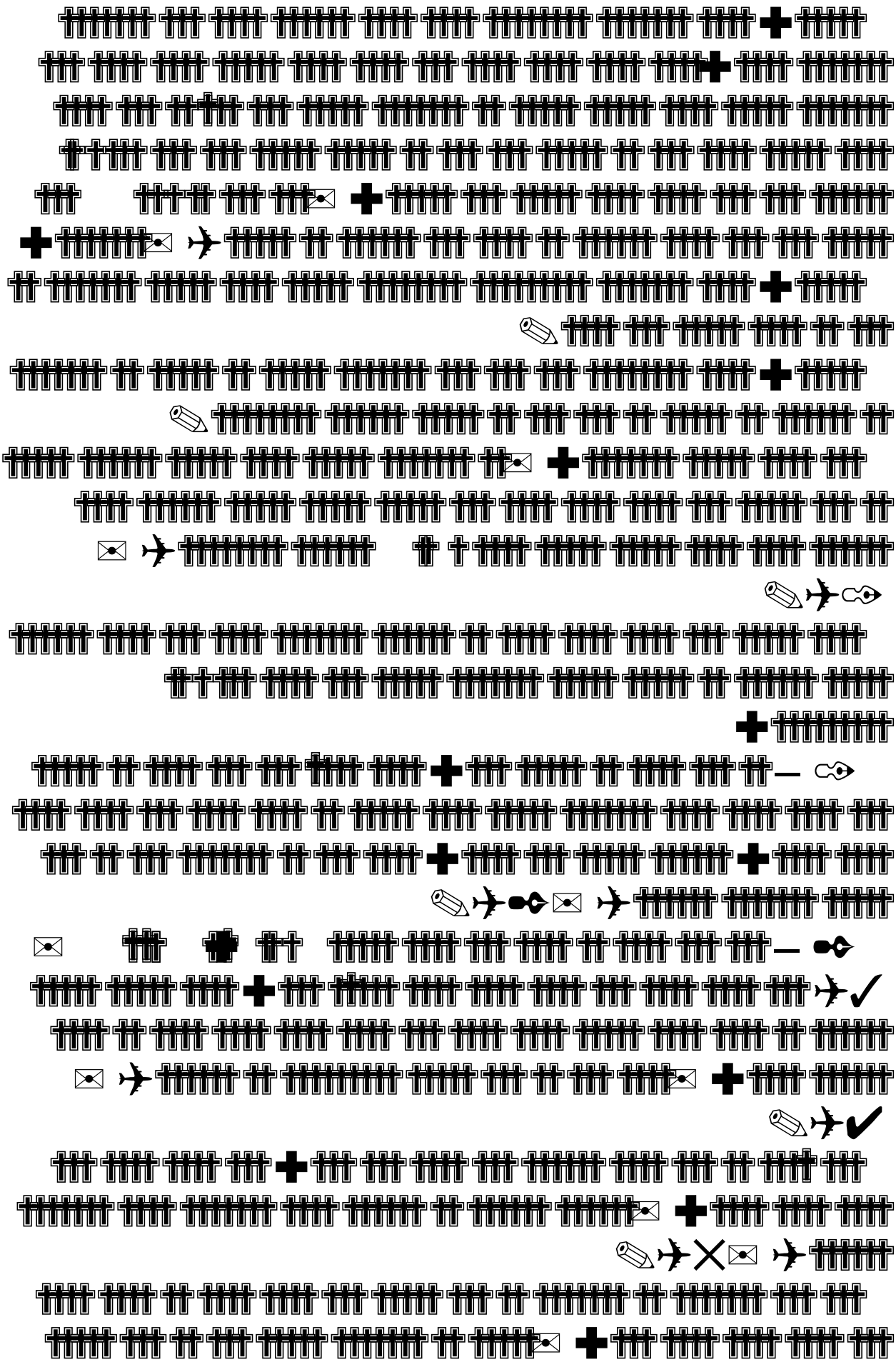

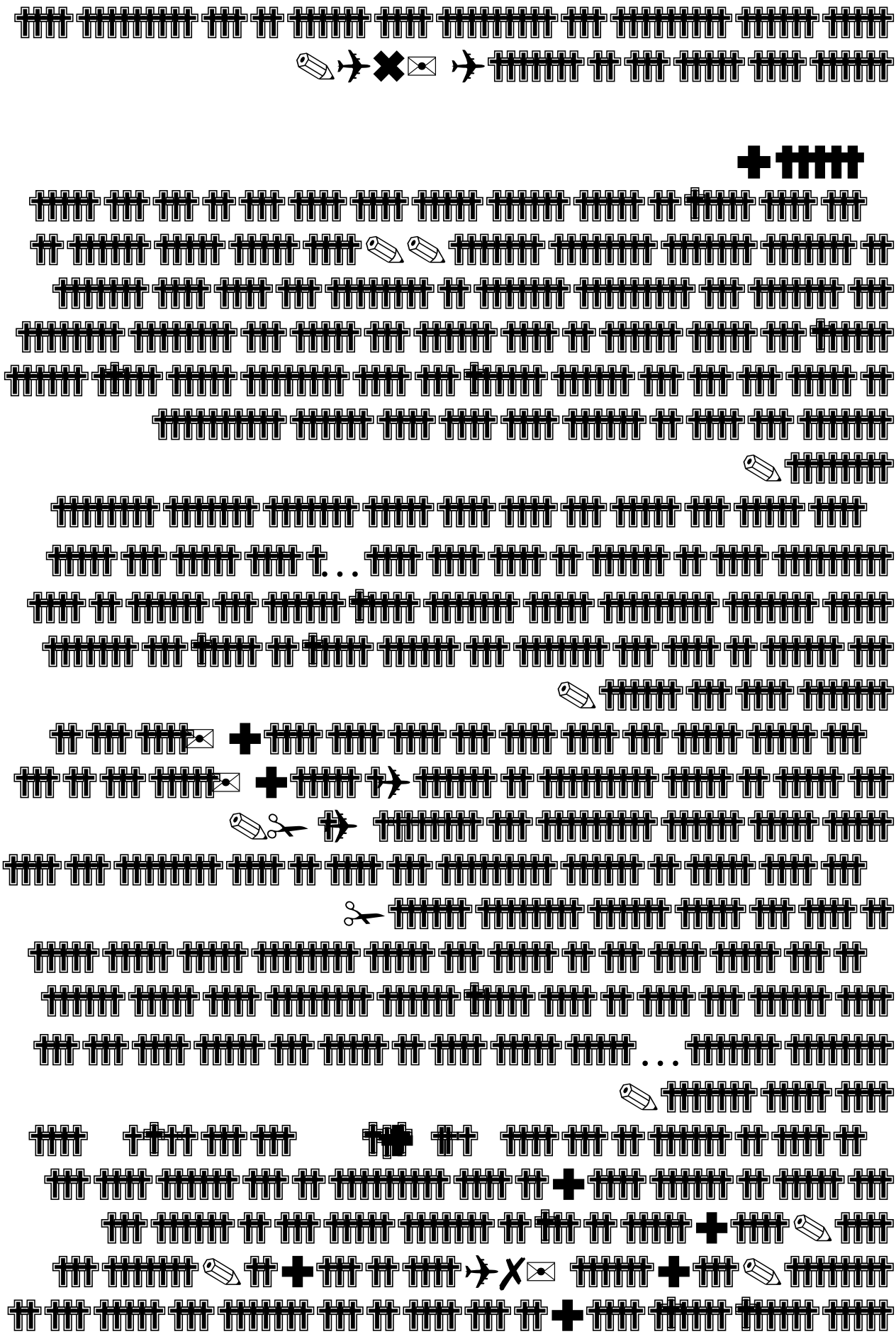

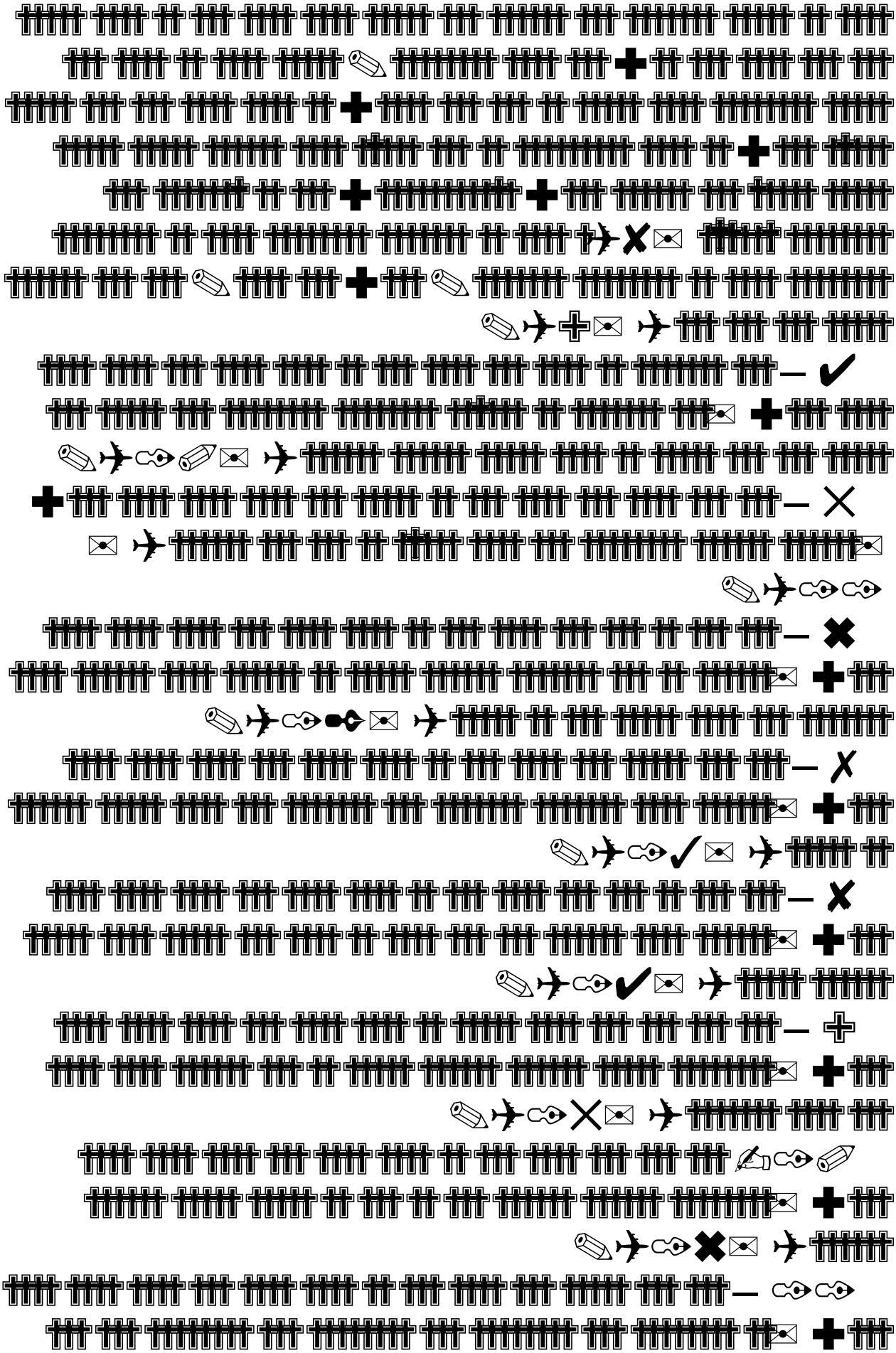

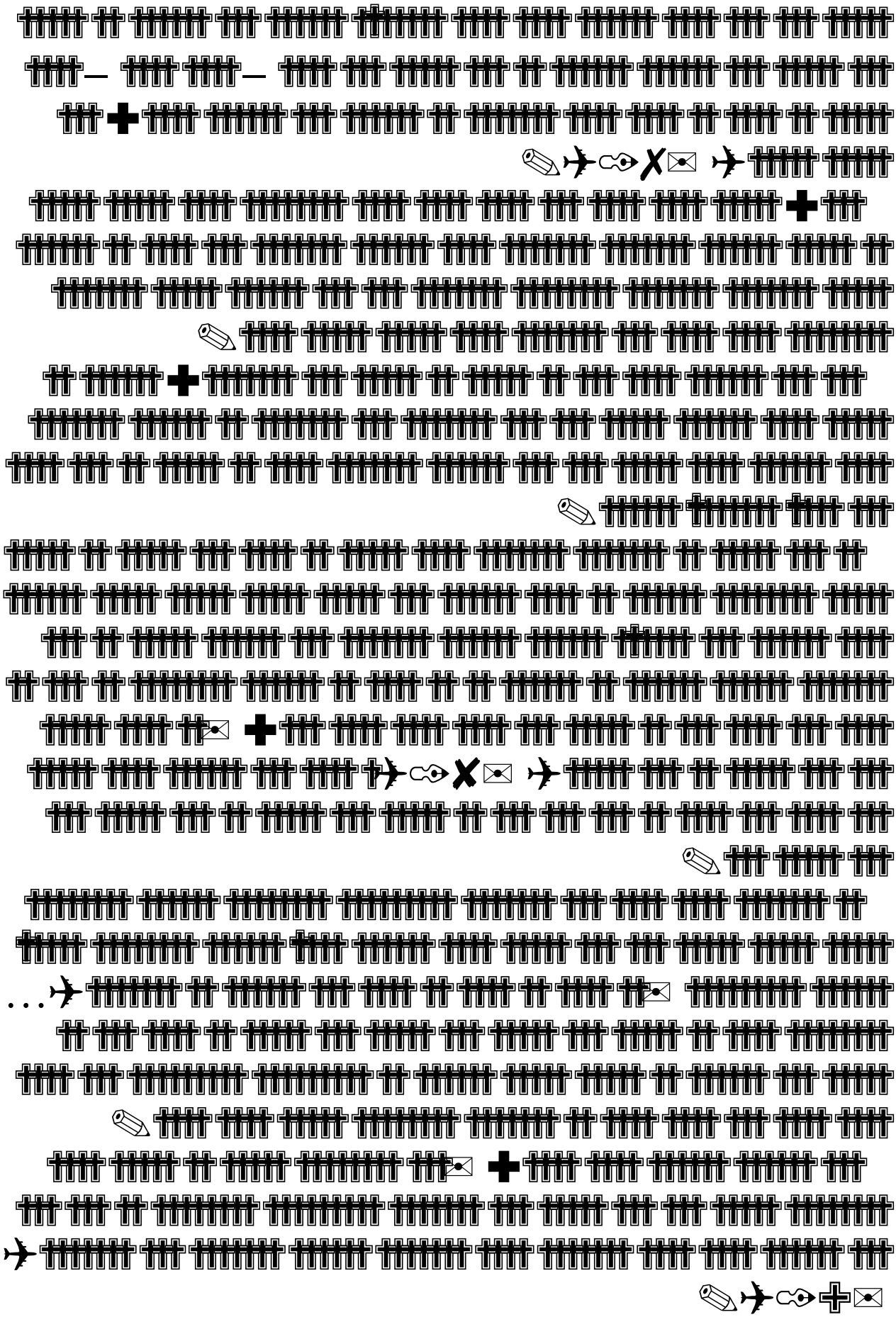

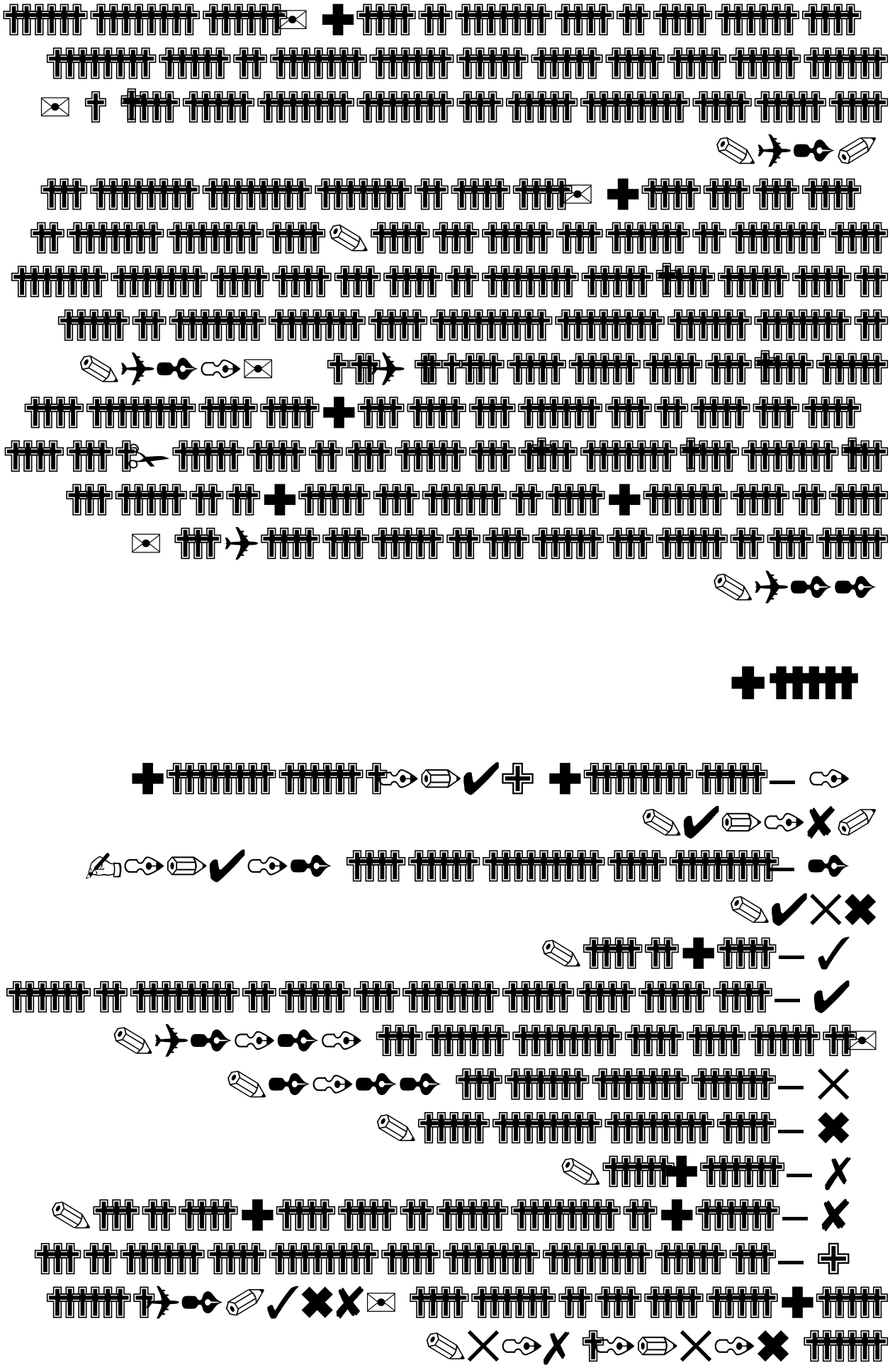

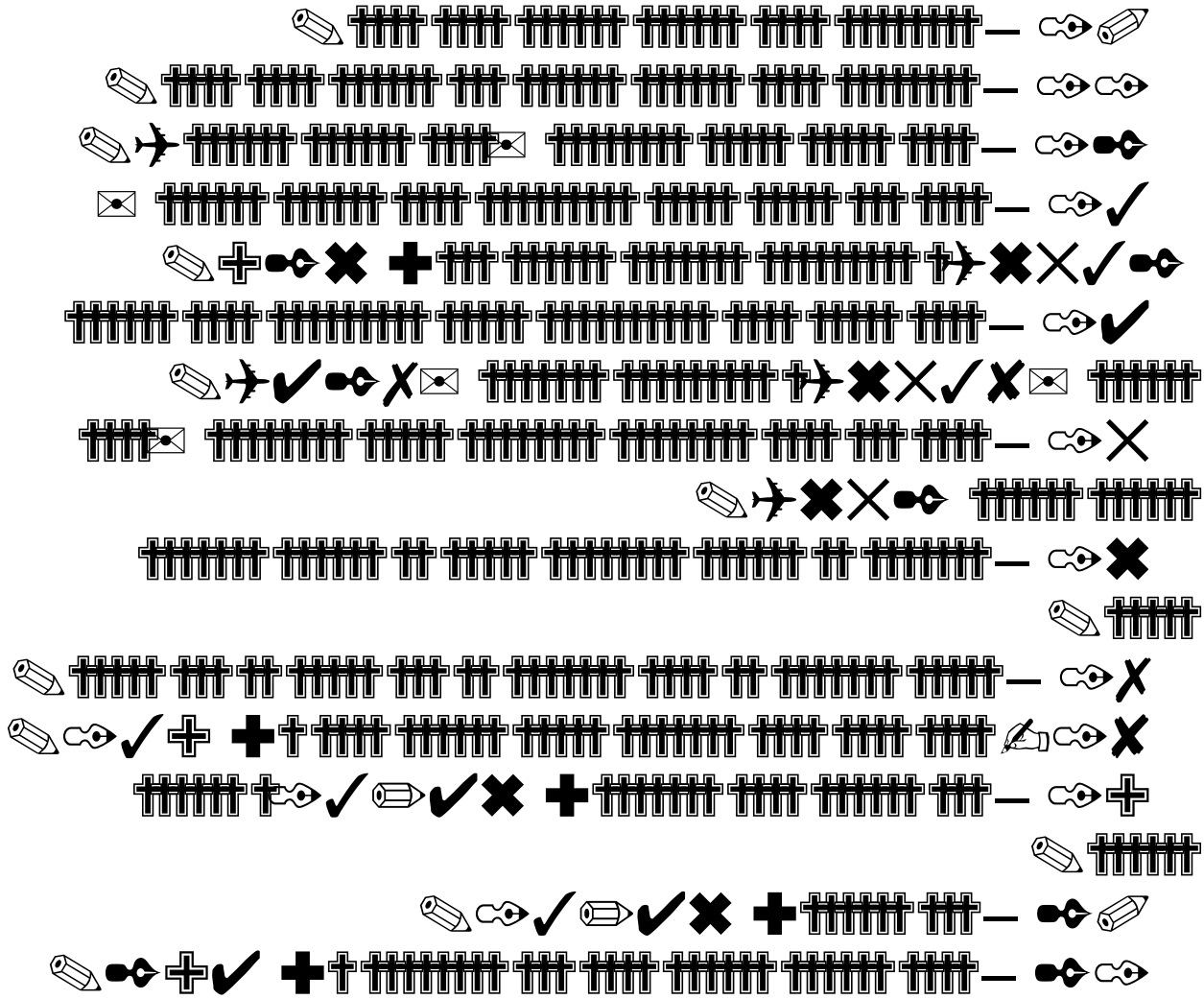

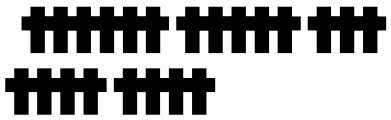

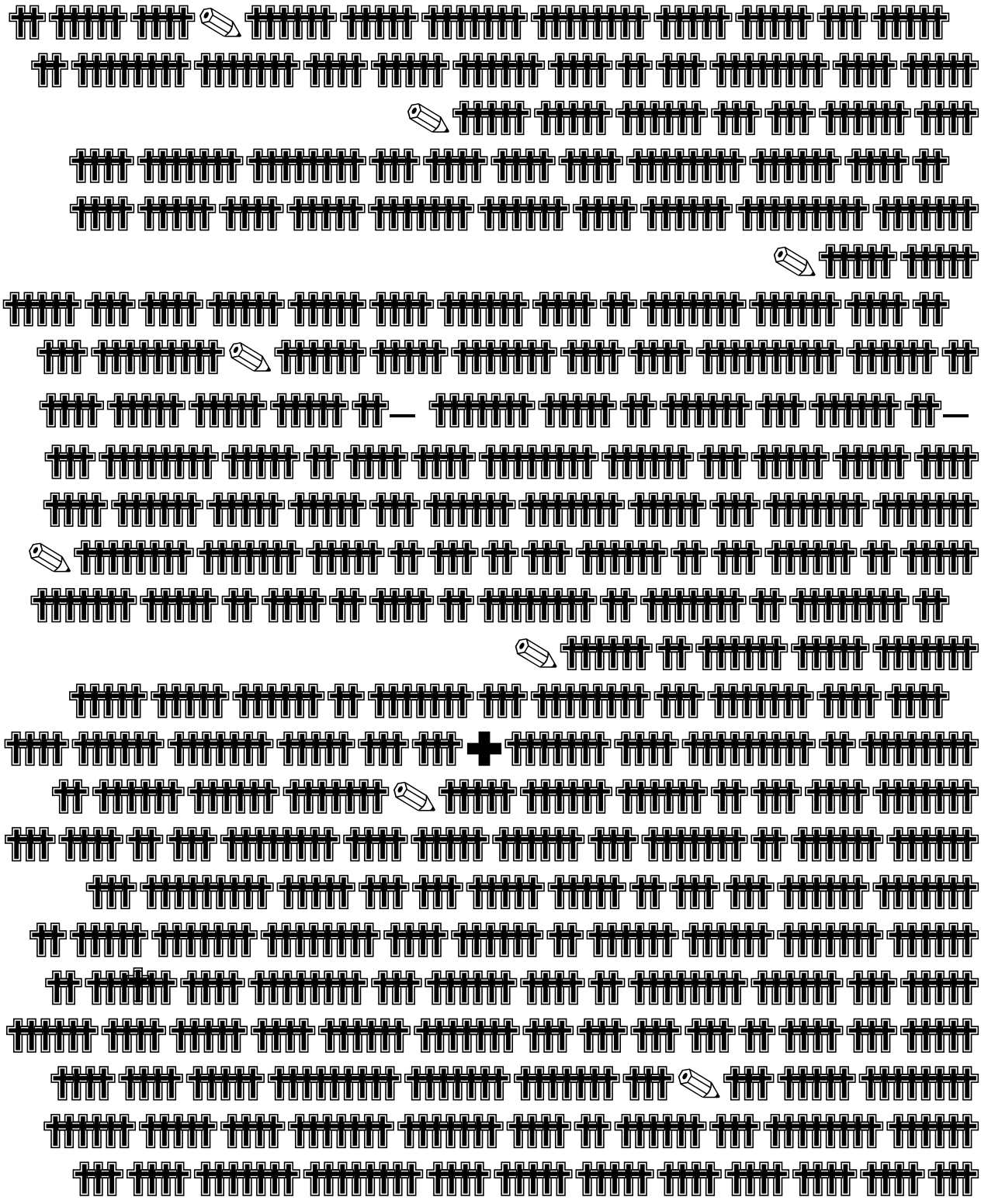

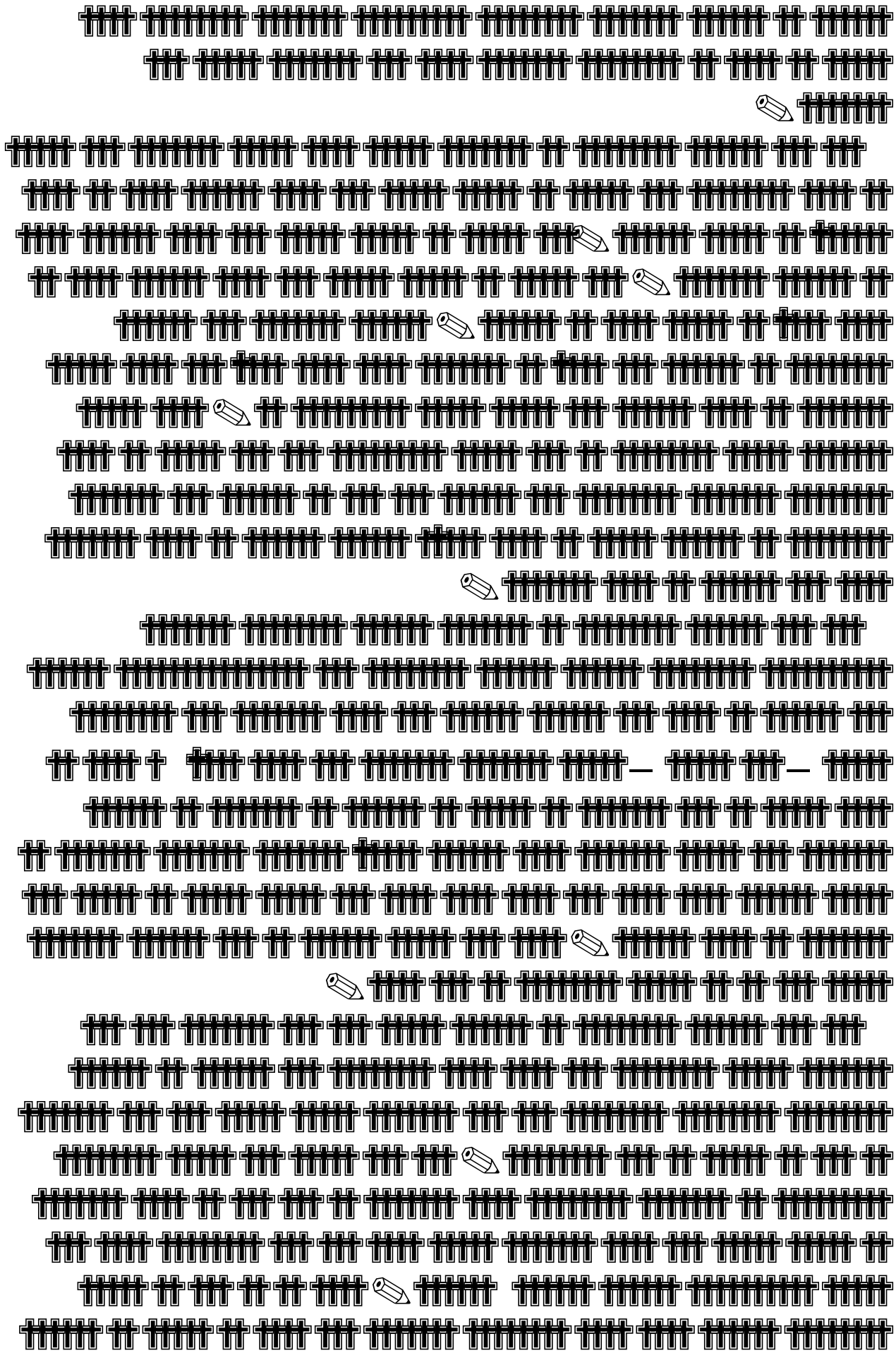

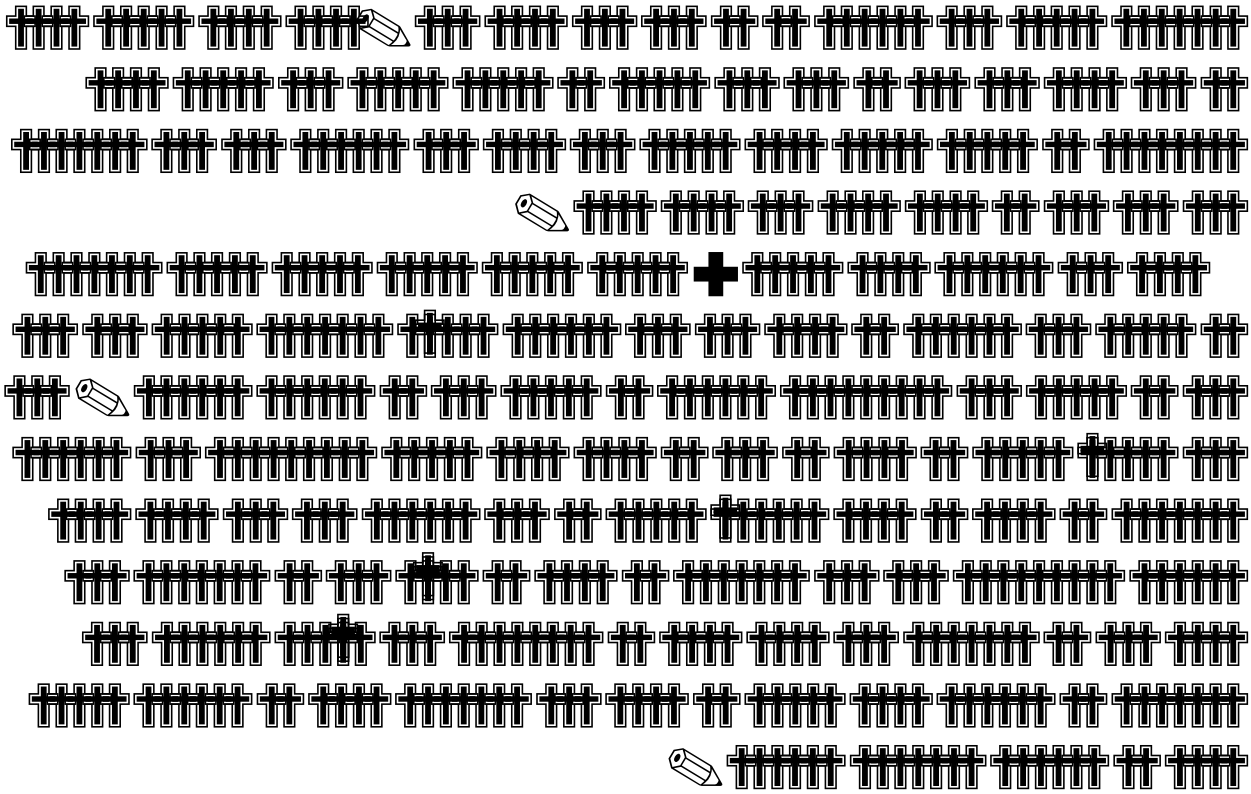

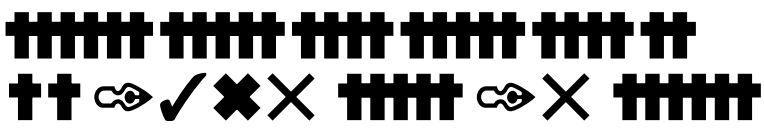

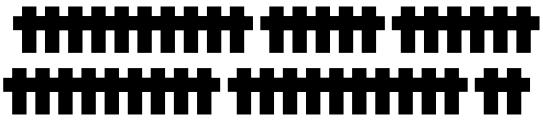

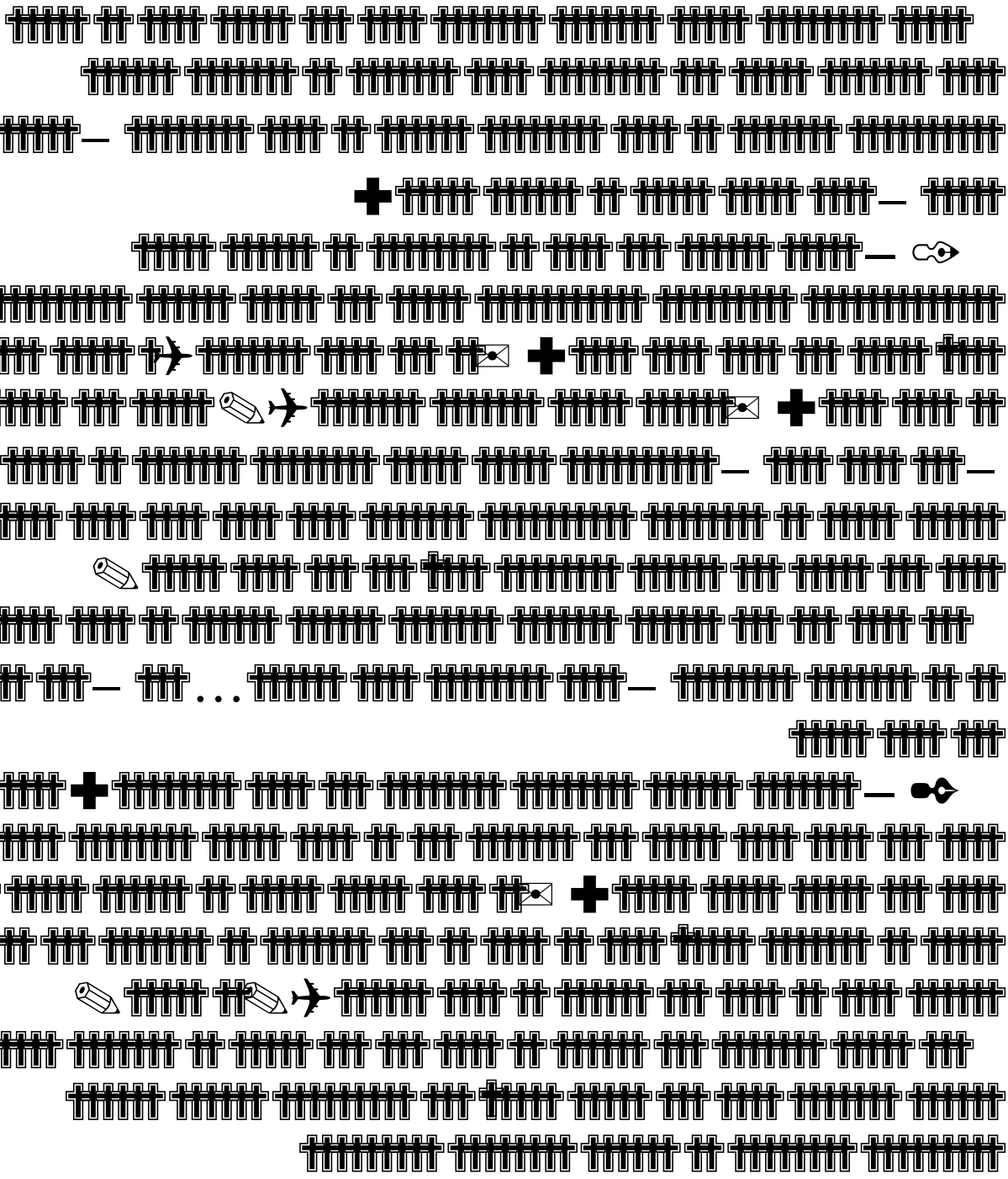

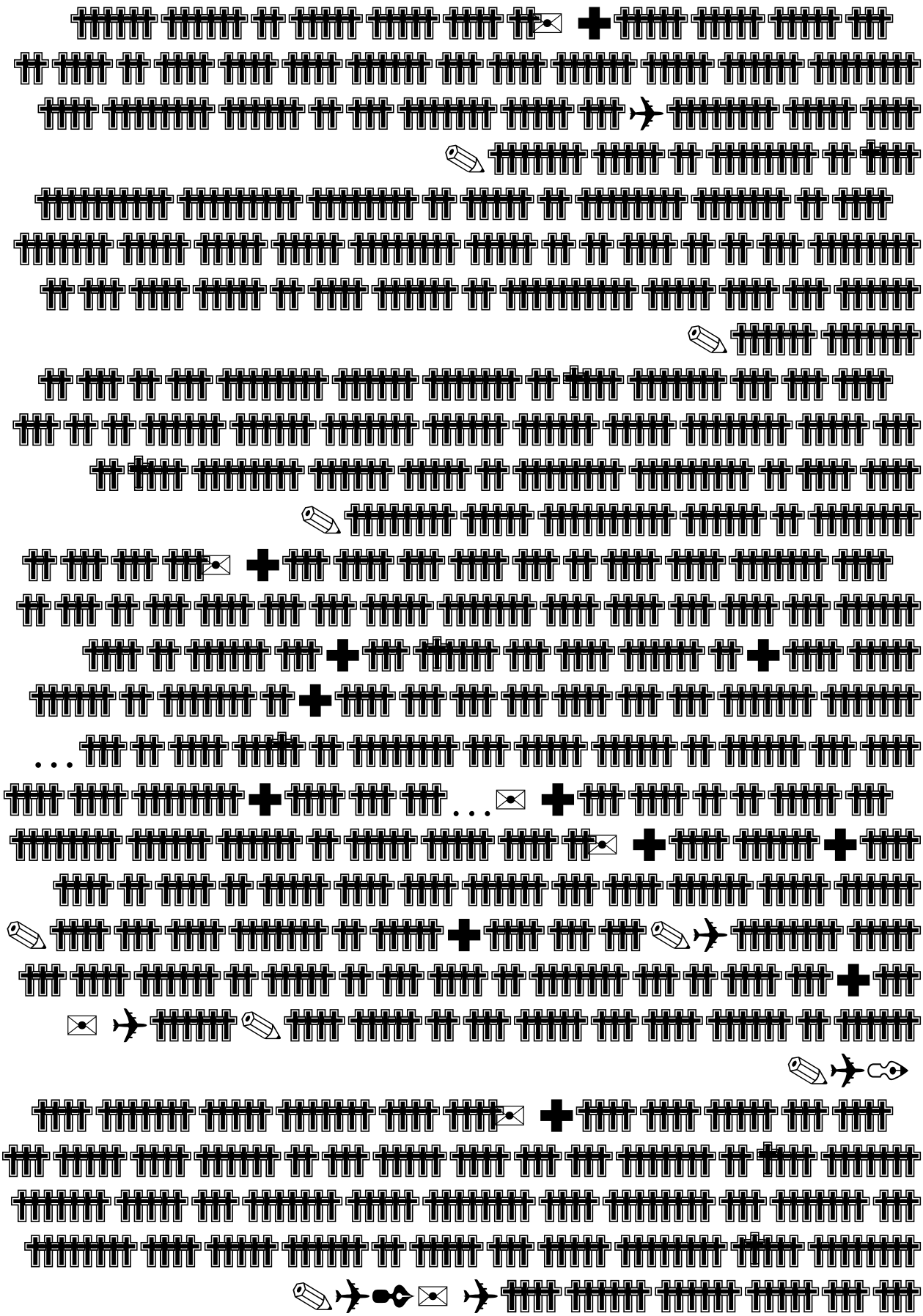

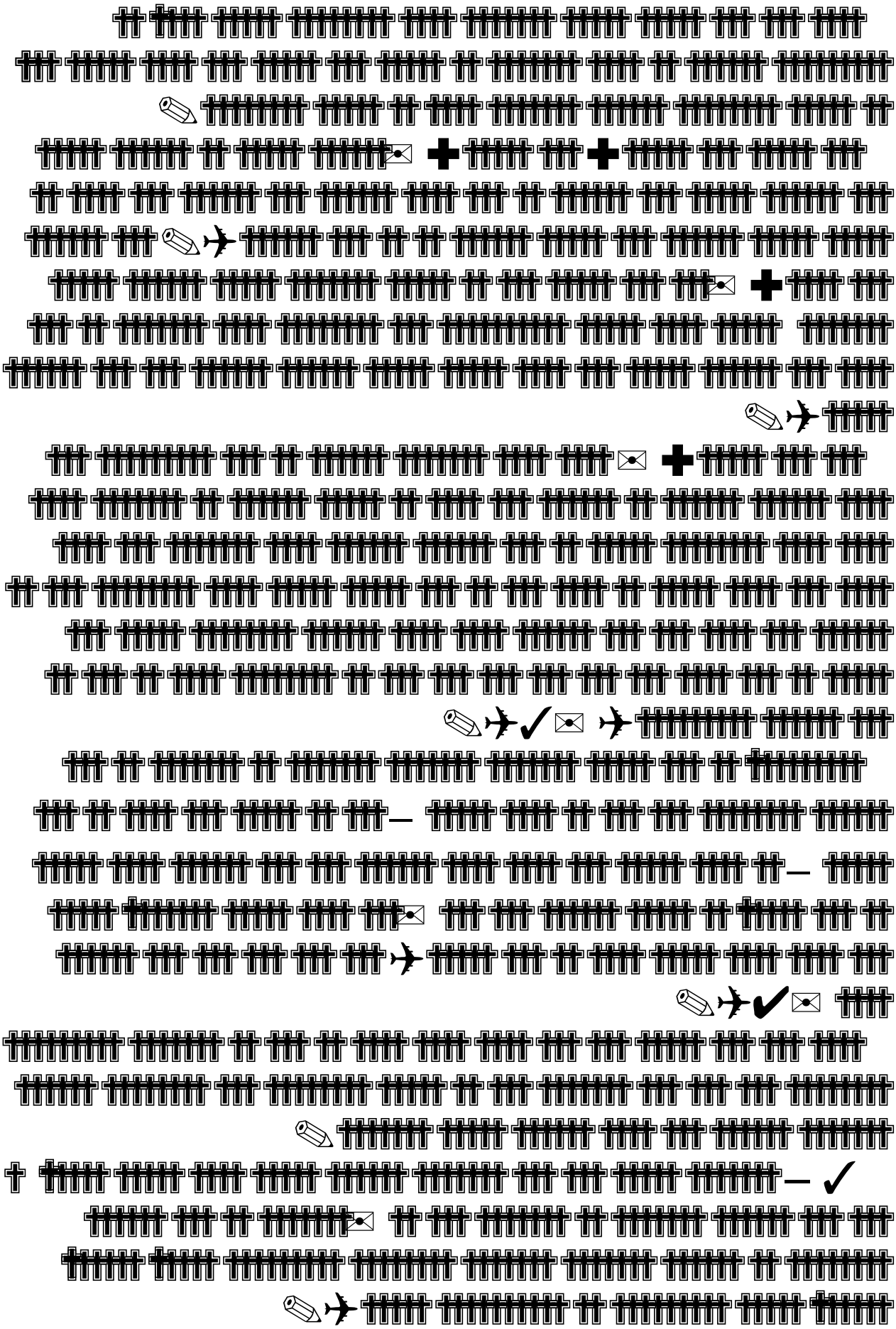

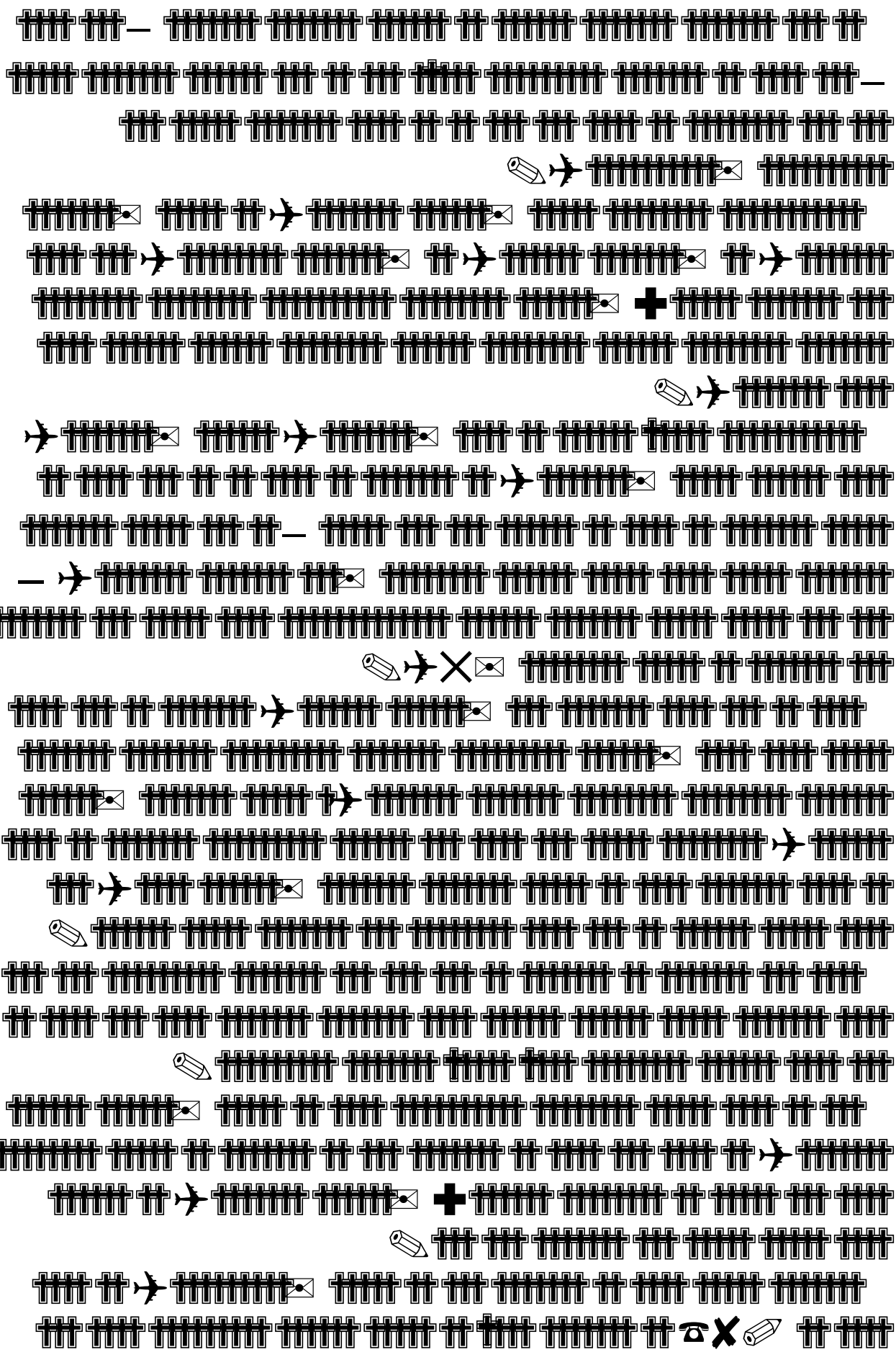

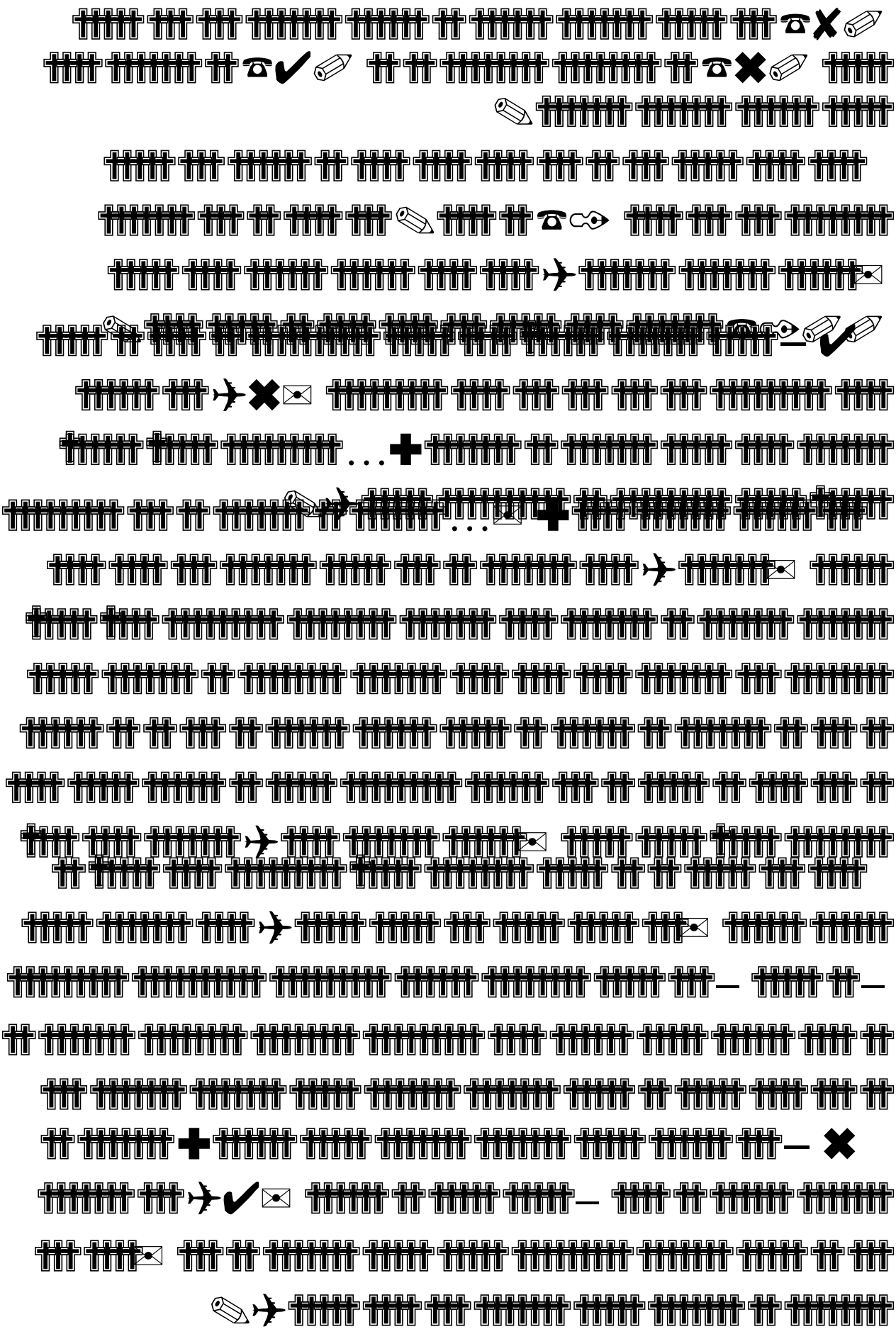

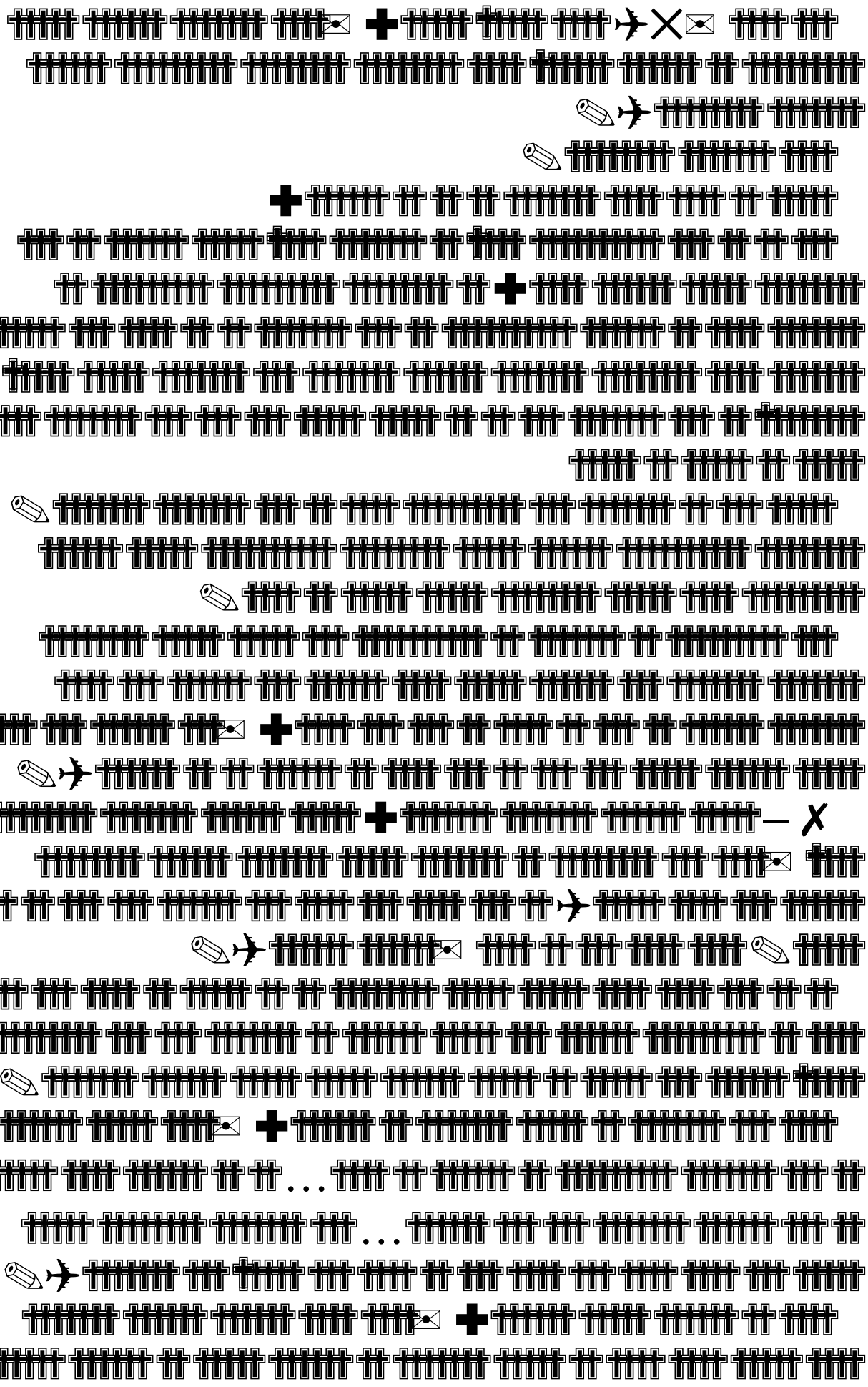

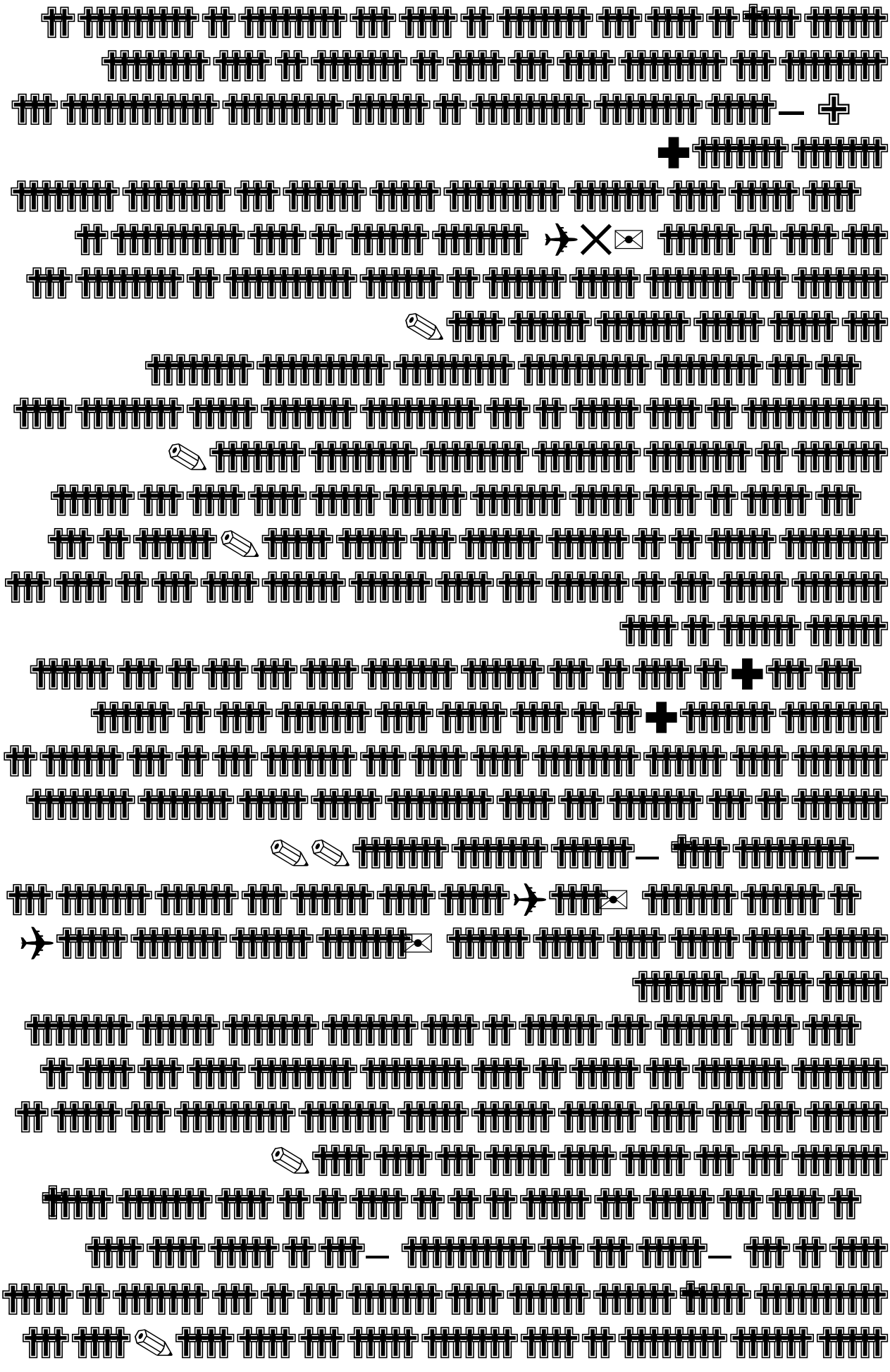

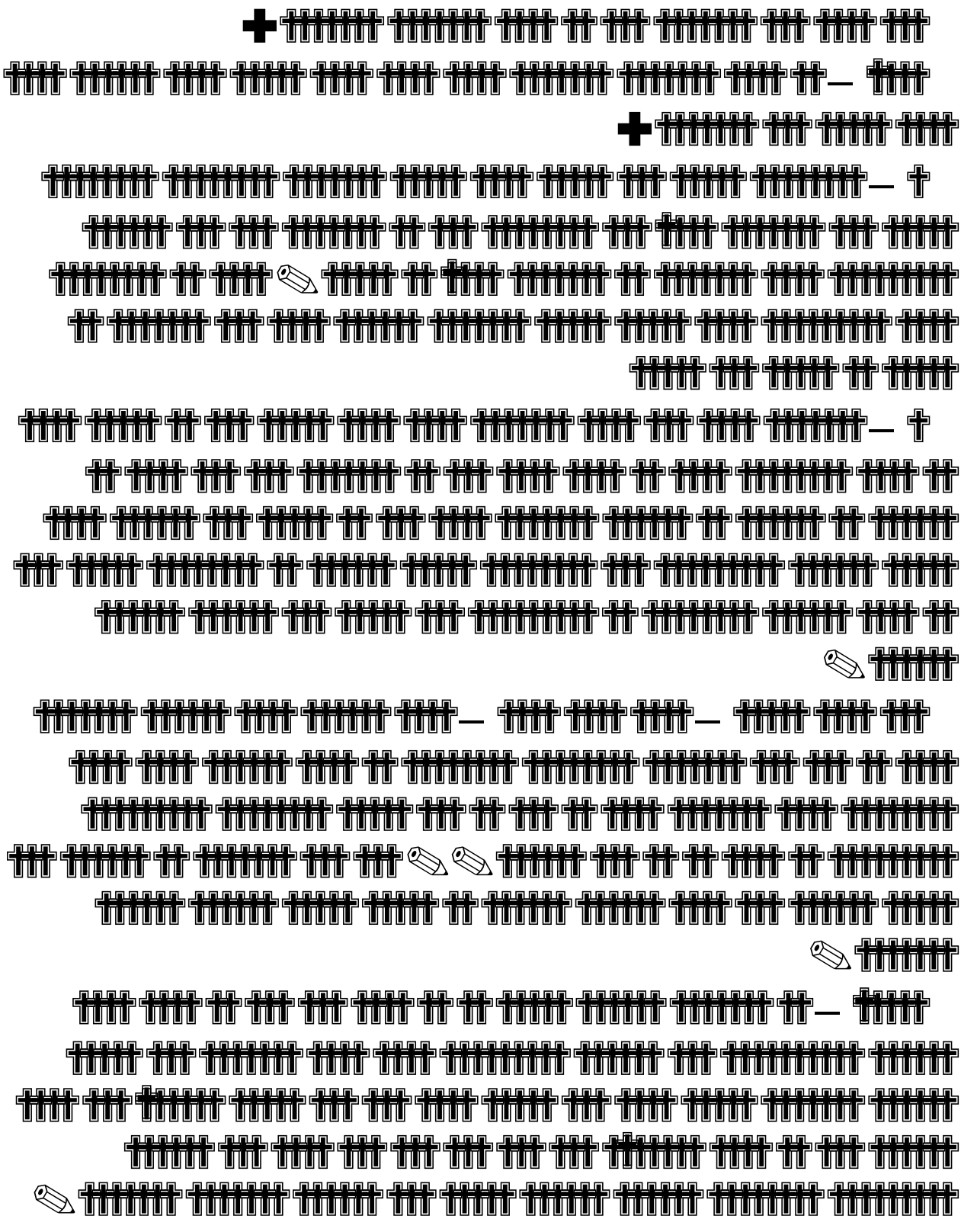

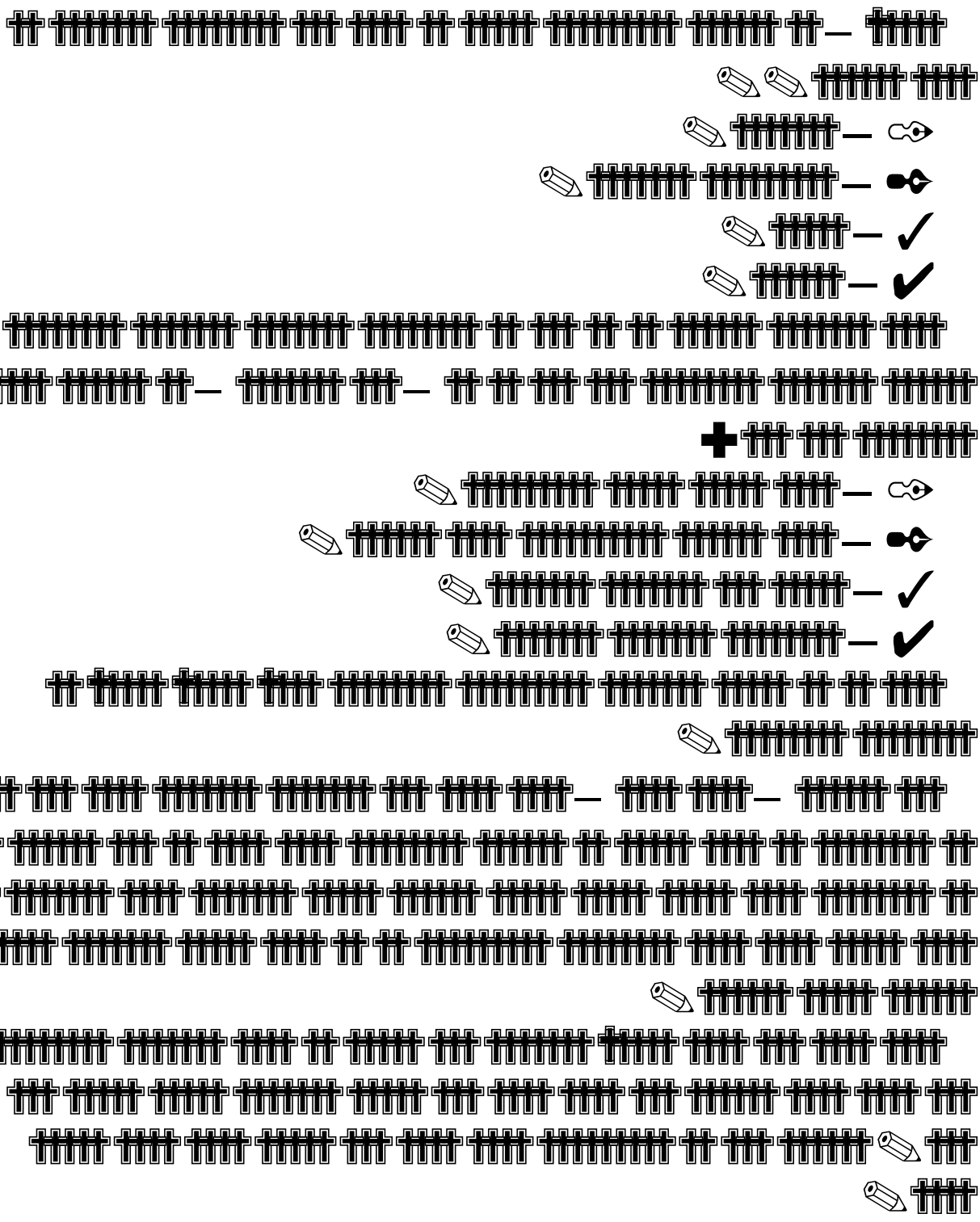

✓ – أحكام في الذمة ✔
✔ – انظر نهاية المحتاج، والمغني ✖
✖ – بشير فيشا قيم نابلس على
صرح وزير البلاد تزعم
بريطانيا الآخر
القضائية، إلا
– ✖ حيث شاكر
العتبين شؤون –
✗ –
✗ – ✗
– + هذا؟؟

السلفية بين الولاة والغلاة
حزب الولاة

✍ محمد سرور زين العابدين

وقفنا في الحلقة الماضية عند ذكرنا لشواهد من أقوالهم الدالة على عداوتهم للدعاة والجماعات وموالاتهم للظالمين، وفي هذه الحلقة نكمل ما بدأنا به، ثم نبين حقيقة موقفهم من العلماء الذين يتسترون بهم.

* * *

عقيدة المخالفين:

من حق كل من يتابع أخبار هذه الفتنة العمياء، أن يعرف اعتقاد العلماء والدعاة والجماعات الذين يناصبهم المدخلي وأعضاء حزبه العداوة والبغضاء:

فبعضهم: سلفيون في الأصول والفروع، ويبدو ذلك واضحاً أمام كل من يستعرض إنتاجهم العلمي، ويسبر غور مواقفهم، ولقد كان لهم دور كبير في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة... وفي تفنيد شبهات

أعداء الإسلام، كما كان - ولا يزال - لهم دور لا ينكره منصف في التصدي للمبتدعين، وبيان تهافت أقوالهم، وكان ربيع المدخلي شديد الإعجاب ببعضهم، وهو الذي أطلق على أحدهم: (ابن تيمية عصره)، وشوهد وهو يوزع بعض كتبه على محبيه.

وحتى في مسالة إنكار المنكر[1] فإنهم لم يخالفوا نهج أئمة السلف في القديم والحديث، ولم يجد المدخلي أي غضاضة في التوقيع على بعض العرائض التي قُدِّمِتْ للمسؤولين وأغاظتهم، كما شارك بعض كبار العلماء في التوقيع على هذه العرائض.

ومن جهة أخرى، فلم يؤثر عن أحد من هؤلاء العلماء والدعاة قول أو فعل مماثل لأقوال وأفعال الخوارج أو غيرهم من الغلاة المبتدعين، وعلى العكس فإن مؤلفاتهم حافلة بالرد على الخوارج وأمثالهم، والناس في العالم يعلمون جيداً أن هؤلاء حماة الدعوة السلفية، والقلة القليلة من الناس الذين يعرفون المدخلي ومن هم على شاكلته، يشهدون بأنهم دعاة تخريب وهدم وتجريح، ومن كان هذا هو صنيعه فإنه لن يجني من الشوك العنب، وسيعلم الذين استأجروهم بأنهم استسمنوا ذي ورم.

ولن يضر علماء هذا الجيل، وأمل هذه الأمة بعد الله تعالى قول المدخلي:

"يسعون لإحلال منهج سيد قطب التكفيري الجاهل (منهج السلفية الجديدة) و (سلفية المواجهة) (سلفية المعتقد وعصرية المواجهة) محل هذا المنهج السلفي العظيم" [جماعة واحدة: ص: 167].

ولن يضرهم أيضاً قول صاحب شريط "الأخطار الداخلية التي تهدد وحدة الأمة": (يأتي الناس فيرون أن هناك خلاف بين من ينتسبون إلى الخط السلفي، طبعاً هناك أناس يزعمون أنهم من السلفيين، لكن ماهم من السلفيين لسنا وهم بشيء، ما نريدهم هؤلاء)[1].

هكذا يرى هذا النكرة أنه مسؤول عن قبول الراغبين بالانتساب إلى السلفية، ورحم الله من قال:

يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند

أهكذا أصبح السلفيون، وما الموجب لهذا كله؟!

يجيبنا على هذا السؤال أحد كبار العلماء الذي دفعته غيرته الدينية إلى تأليف كتاب يلجم به أفواه هؤلاء الذين لبسوا أثواب الجرح

---

[1] - وهي التي أغضبت الولاة وعملاءهم.

[1] - انظر كتاب (تنبيهات)، لمؤلفه: حامد بن عبد الله العلي، دار التجديد، الكويت، فقد تولى المؤلف جزاه الله خيراً الرد على الأفكار التي طرحها صاحب الشريط.

والتعديل ليبثوا من خلالها أحقادهم وأكاذيبهم، وعندما تأخر صدور هذا الكتاب، سأله عنه أحد أصدقائه المقربين. فأجاب:

تبين لي أخيراً أن هؤلاء القصابين يعملون في هذا الجانب نيابة عن الدولة، ولا أريد الإقدام على عمل أظهر من خلاله وكأني أواجه الدولة، ومع أني قد انتهيت من تأليف الكتاب فقد قررت عدم نشره.

وكما قال الشيخ - وإن كان قوله جاء متأخراً - هؤلاء يعملون نيابة عن غيرهم، ولو رضي الغير لرضوا تبعاً له، ولقال المدخلي كما قال من قبل: (خلاص، خلاص، نحن إخوة، وليس بيننا خلاف).

أما البعض الآخر الذي يناصبهم المدخلي وصحبه العداوة والبغضاء، فهم جماعات الدعوة، وفي مقدمتهم الإخوان المسلمون، فهم عند المدخلي عقدة العقد، وما من نقيصة في الدنيا إلا وينسبها إليهم، وينقل عنه قوله: إنني أحب فلاناً مع - أني لا أعرفه - لأن الإخوان المسلمين يكرهونه!!.

وهذه الجماعات تنتمي لأهل السنة والجماعة على العموم، وفيهم جهل أحياناً، وقد يقع ناس منهم ببعض البدع، وقد يتعصبون لجماعاتهم تعصباً غير محمود... لكنهم مع هذا كله لم يتخلوا عن أهل السنة والجماعة، وإن مثل هذه الأخطاء لا تبرر شدة عداوة حزب الولاة للجماعات الإسلامية، وإضافة إلى الشواهد التي ذكرناها قبل قليل، نسوق فيما يلي تفسيراً غريباً للحرب العالمية المعلنة ضد الإسلام والمسلمين، يقول صاحب شريط "الأخطار الداخلية التي تهدد وحدة الأمة:

"لكن نحن نقول: إن هذه الجماعات قد أعطت الجانب السياسي، أو ما سموه هم (حرب القصور) أكثر من حجم القضية فجعلوا المشرك يريدون أن يحاربوا من سموه طاغوتاً.

هذا مشرك شرك أكبر، وذلك لعله موحد قد وقع في معصية، فجاء الصراع على الدنيا، واشتغلوا بعد ذلك بالتكفير، وما يسمونه بالجهاد، ونحن نسميه بالإفساد في الأرض... ويأتي السؤال العجيب أنه لمصلحة من تخرب بلاد المسلمين من الذين يستفيد".

ويضيف قائلاً: "... وكل هذا، النتيجة ستكون أن تحكم طائفة من الناس، قتقتل بعد ذلك باسم الدين الطوائف الأخرى... ولكن نحن نقول: هذا الانحراف في إظهار ما أسموه بتوحيد الحاكمية وإهمال بقية أنواع التوحيد في ابتداعهم هذا، وتجميع الناس عليها واحتياجهم إلى التكفير بعد ذلك ما أسموه بالجهاد..."[1].

---

[1] - في هذا الشريط وفي غيره من المحاضرات التي اعتمدت عليها نقلت أقوال المحاضرين بما حوته من أخطاء وركة ودون أي تدخل مني، فأرجو أن ينتبه القارىء لذلك.

أعترف بأنني لم أفهم هذا المقطع، ولا أريد أن أقول للمحاضر: لم تقول مالا يفهم، خشية أن يقول لي: لم لا تفهم ما أقول، فيضيع القارىء بيني وبينه، ومن ثم فخير لي ان ألوذ بقلة الفهم بدلاً من القول:

- الداعية عند هذا المحاضر مشرك أما الحاكم فهو مسلم، ولعله قد وقع في معصية، والمسلم العاصي لا يقارن بالمشرك في الموازين الإسلامية الصحيحة.

- الجهاد يسميه المحاضر بالإفساد في الأرض، وليته شرح هذه النظرية حتى لا نسيء الظن به، بل ليته فرق ما بين الجهاد الشرعي، والجهاد غير الشرعي.

- إذا حكمت جماعة إسلامية لا ينتظر منها المحاضر إلا التقتيل وسفك الدماء.

- الانحراف جاء في إظهار ما أسمته الجماعات الإسلامية بتوحيد الحاكمية، وهذا الانحراف هو الذي قاد إلى التكفير وإلى ما أسموه بالجهاد (على حد قوله)، وفي جوابه على أحد الأسئلة في نهاية المحاضرة قال: إن ما أسموه توحيد الحاكمية محدث ارادوا (أي الجماعات) به قتل توحيد الألوهية فأبدلوه بالحاكمية.

مما يحزّ في النفس أن ما قاله هذا المحاضر يتفق مع أفكار القوم التي يدندنون حولها، فعندما يسمع أحدهم باعتقالات وإعدامات في صفوف الإسلاميين في بلد من بلاد المسلمين تراه يسكت عن هذا الحاكم المستبد - هذا إذا لم يتضامن معه - وينحي باللائمة على ضحايا الظلم والعدوان من أهل الصلاح والإيمان، أما إذا اختلف حاكم من حكام تلك البلاد الإسلامية (وهو ذو تاريخ حافل بالظلم والإجرام مع أصحاب الاتجاه الإسلامي) مع ولي أمرهم فيتذكرون أنه طاغية ومرتد وجزار وغير ذلك من الأقوال والنعوت التي ينتصرون بها لولي أمرهم، وليس لله تعالى.

وخلاصة القول: إن أعضاء حزب الولاة يوالون الظالمين، ويتبرأون من العلماء والدعاة والجماعات الذين يضطهدهم الولاة بسبب مواقفهم الشرعية التي يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى، ولا يكتفون بالبراءة منهم، بل يعتبرونهم من ألد الأعداء، ويرمونهم بما يشاءون من الاتهامات كالابتداع في الدين، وتفريق وحدة الأمة، والخروج على ولاة الأمور، وهم قبل ذلك وبعده لا يستحقون عندهم نصرة، ولا يعطفون عليهم إذا ألمت بهم مصيبة، وهم (أي الولاة) يلتقون في موقفهم هذا من إخوانهم مع العلمانيين، هؤلاء يدفعهم

كفرهم وخبثهم، وأولئك تدفعهم أهواؤهم وحماقاتهم، ولكن النتيجة: عداوة لا رحمة فيها.
ترى كم يخسر المسلمون، لو حذفنا العلماء والجماعات الإسلامية من حياتهم، فهل فكّر حزب الولاة بهذا؟!

التستر بالعلماء

عندما نكتب [أو يكتب غيرنا] منددين بالمنافقين من علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ينبري محامو الولاة للرد علينا:
أنتم تهاجمون العلماء وتقتانون لحومهم المسمومة، ثم يحاولون إثارة الرأي العام السلفي بقولهم: إنهم يقصدون العالم الفلاني وإخوانه في فتواهم كذا وكذا، ونحن - علم الله - لا نقصد العلماء الذين يذكرون أسماءهم ولا نكن لهم إلا كل حب ومودة وتقدير، وقد يجدون أحياناً من لا يزال يحسن الظن بهم، ويصدق أقوالهم، وطالما قلنا وكررنا القول: لقد استفاض علم الناس بحرصنا على إشاعة روح المحبة والتآلف بين عامة المسلمين، فكيف بخاصتهم من العلماء العاملين الذين نفع الله بعلمهم وبجهادهم؟!
وفي طليعة هؤلاء العلماء الذين نحبهم ونوقرهم ونجلهم أئمة الدعوة في هذا العصر أمثالُ: الشيخ رشيا رضا، والشيخ محب الدين الخطيب، والشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد الحميد بن باديس وإخوانه قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والشيخ بهجة البيطار، والشيخ عبد الرزاق العفيفي رحمهم الله رحمة واسعة، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.
ومن الأحياء: الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظهما الله، وبارك في عمريهما.
وهؤلاء ليسوا عندنا جميع علماء أهل السنة الذي نحبهم ونجلهم، فغيرهم من الأموات والأحياء كثير وكثير، ولا نقبل أن يكون تقديرنا لهم نابعاً من منطلق إقليمي أو انتقائي.
ومن ثم فإننا لا نعتقد لأحد منهم العصمة، ولا نلقده في كل ما يقوله ويفتي به، وليس في ذلك[1] خلاف بين أئمة السلف في القديم والحديث، وإنما يقع الخلاف عندما نجد أنفسنا مضطرين إلى مخالفة أحد هؤلاء الشيوخ الأفاضل في قول قاله، فترتفع أصوات نفر من أهل الأهواء الذين يتدثروا بدثار السلفية قائلين: من أنت حتى تستدرك على الشيخ وتخالف قوله؟!.

[1] - هذه ميزة رائعة امتاز بها المنهج السلفي عن غيره من المناهج الأخرى، وهيهات للمقلدين الجامدين من الوصول إلى هذا المستوى.

إنني عندما أخالف الشيخ أعلم جيداً بأنني لست أكثر من تلميذ يقدّر شيخه، ويحسن الظن به، ويحرص أشد الحرص على التأدب معه وعدم التطاول عليه، ومع ذلك كله فقد يغلط التلميذ على شيخه، وقد يغلط الشيخ على تلميذه، وكل ابن آدم خطاء.

ونهجنا هذا معلوم عند كل من يعرفنا ويتابع كتاباتنا، وليعد من شاء إلى مجلة السنة العدد الصادر في شهر شوال من عام 1413 هـ، وقد علمت من خلال اطلاعي على بعض أشرطة (الولاة) أن العدد المذكور وصلهم وفهموا مضمونه، ورغم ذلك فهم يراوغون، ويتسترون بشيوخ كرام لا يرضون مسلكهم، ولم يفوّضوا هؤلاء المشبوهين حق تمثيلهم، والدفاع عنهم.

أما غضب (الولاة) مما نكتبه عن النفاق والمنافقين، وإن كنا لا نقصدهم في كثير من الأحيان فيندرج تحت باب قوله تعالى: {يحسبون كل صيحة عليهم} [المنافقون: 4]، وقوله: {في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً} [البقرة: 10]، ويندرج تحت قول الشاعر:

ومهما تكن عند امريء من خليقة وإن خالها تخفي على الناس تعلم

إننا فيما نكتبه عن النفاق والمنافقين ملتزمون بالأدب النبوي: مابال أقوال يفعلون كذا وكذا، فإذا لم يرضى (الولاة) بالستر، وألحوا في السؤال: من تعنون؟!، فأبشروا ولا كرامة:

إننا نقصد العلماء الذين أفتوا بمشروعية البنوك الربوية وأباحوا فوائدها، ونقصد أيضاً العلماء يفتون بقتل الدعاة إلى الله، وينحازون إلى صف الطغاة فيبررون جرائمهم، ويزينون قبائح أفعالهم، وهذه الأوصاف تنطبق على نفر منكم - معشر الولاة -، وأولهم كاتب تقرير (التنظيم السري العالمي بين التخطيط والتطبيق)، وجزى الله خيراً كل من ساعد على وصول هذا التقرير إلى أيدي الناس ليعلم الخاصة والعامة فساد أخلاقكم، وسوء معادنكم، كما تنطبق هذه الأوصاف على كتاب تقارير أخرى لم تصل إلى أيدي الناس، وعلى كل من يوالي أعداء الله ويعادي الدعاة ويتبرأ منهم، ولكن هذه الأوصاف لا تشملكم جميعاً، فبينكم من لا يزال يجهل حقيقة هذه الفتنة، وإذا كنتم قد علمتم الآن من نقصد، فتحملوا مسؤولية أعمالكم، وأسفروا عن وجوهكم، ولا تتستروا بغيركم، واعلموا بأننا سوف نستمر في الحديث عن النفاق والمنافقين، وعن كل من يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً.

وما دمنا في صدد الحديث عن الهجوم على العلماء لابد من القول:

إن الذين يعيشون على نهش لحوم العلماء هم الذين جعلوا من الغيبة والنميمة قواعد شرعية، وذلك في قولهم: إن كل من وقع في البدعة فهو مبتدع، وكل من وقع في الكفر فهو كافر، وقالوا أيضاً: المبتدع لا تذكر له حسنات، وهذا هو خلاصة كتاب ربيع المدخلي: (أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف).

وبعد التأصيل والتقعيد جاء دور التطبيق، وتولى هذه المهمة غلمان أحداث - لا علم ولا أدب عندهم - راحوا يستعرضون سير العلماء والدعاة والجماعات - في القديم والحديث، وكل من وقع في خطأ سجلوا اسمه في قوائم المبتدعين، وسلقوه بألسنة حداد، وتوسع بعضهم في تطبيق القواعد التي رسمها المعلم في كتابه... فكانت هذه الفتنة التي يتحمل المدخلي وزرها ووزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من وزره شيئاً.

وكان للعلماء الذين يتستر بهم المدخلي وصحبه موقف:

فبعضهم كان موقفه قوياً، ليس فيه أدنى مجاملة، قال أحدهم في كتاب رد به عليهم:

(وفي عصرنا الحاضر يأخذ الدورُ في هذه الفتنة دورته في مسالخ من المنتسبين إلى السنة متلفقين بِمِرْطٍ ينسبونه إلى السلفية - ظلماً لها - فنصبوا أنفسهم لرمي الدعاة بألسنتهم الفاجرة المبنية على الحجج الواهية، واشتغلوا بضلالة التصنيف).

وقال أيضاً: (ويالله كم صدت هذه الفتنة العمياء عن الوقوف في وجه المد الإلحادي، والمد الطرقي، والعبث الأخلاقي، وإعطاء الفرصة لهم في استباحة أخلاقيات العباد... الخ)[1].

وبعضهم أصدر أكثر من بيان دعا فيه الذين يقعون في أعراض الدعاة وطلبة العلم إلى التوبة مما يفعلونه، وحذّرهم من تفريق وحدة المسلمين وتشتيت صفهم، وهكذا فإننا لا نعرف عالماً واحداً ممن يعتد بقوله وفتواه قد وافق المدخلي وطلابه فيما ابتدعوه، وكان لكل منهم طريقته وأسلوبه في الرد.

صدم المدخلي من ردود العلماء عليه، وسارع كعادته في الرد على بعضهم، وفي تلفيق التهم عليه، وكان بالأمس يطنب في الثناء عليه، وفي عرض مؤلفاته عليه قبل نشرها، وبعض العلماء لا يستطيع الرد عليه بسب علو مكانته، واهتمام عموم السلفيين بفتاويه ومواقفه، وإنه إن فعل فلسوف يخسر الستار الذي يتستر به، ويواجه خصومه من خلفه، ولهذا فقد اكتفى بالهمز واللمز، وهذا الذي ينكره على

---

[1] - انظر كتاب (تصنيف الناس بين الظن واليقين) للشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ص: 28 و 29.

غيره من الذين يخالفهم ويسميه "منهج الموازنات" أو "المصالح"، وقد يبلغ هذا الهمز حد التصريح، ومن الأمثلة على ذلك مايلي:

1 - سأل طلاب كلية الشريعة بجامعة الكويت ربيع المدخلي عن كلام ينقله الدكتور عبد الرزاق الشايخي عن الشيخ عبد العزيز بن باز، فأجاب وهو في حالة انفعال: (يلبسون على الشيخ، ابن باز ما يعرف الحقيقة، الشيخ ابن باز هم يلبسون عليه... يصيغون السؤال بطريقة تجبر الشيخ أن يوافقهم)[1] .

قلت: لو قال هذا القول غيره لبالغ في التشنيع عليه وفي تسفيهه، فالحقيقة إذا كانت تخالف قناعات المدخلي لا يعرفها ابن باز، وإذا كانت توافق قناعاته يعرفها الشيخ، ويعرف علم الأولين والآخرين، ولكن المدخلي لم يقل فيما إذا كان هو وفرقته قد اشتغلوا بالتلبيس على الشيخ (بطريقة تجبر الشيخ أن يوافقهم)!!، إن أساليب أصحاب الأهواء متشابهة مهما اختلفت مشاربهم، ومهما تباعدت أزمانهم وأوطانهم.

2 - حفل تقريرهم السري الذي رفعوه لولي أمرهم وأسموه: (التنظيم السري العالمي) بلمز كبار العلماء، ومن ذلك قولهم: (ولما أدرك التنظيم السري هذا الأمر جيداً؛ تعامل مع العلماء الكبار الذين لهم شعبية بكل حذر وانتباه، وأحاط أتباعه، والمتأثرون به هؤلاء العلماء من كل جانب؛ فمنهم من لازمهم بحجة الدراسة عليهم، ومنهم من سعى لهم للحصول على وظائف حساسة في إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سابقاً - وزارة الشؤون الإسلامية حالياً -، ومنهم من صاروا من المقربين إليهم؛ فكل هؤلاء مارسوا في الفترة الماضية - ولا يزالون - أساليب التعتيم الإعلامي معهم فيما يخص الأحداث الداخلية ونقل أخبارها إليهم، إلى جانب تشويه سمعة السلفيين ومشايخهم المعروفين الذين تصدوا لهذا التنظيم وقادته، وكانت من نتائج هذه الإحاطة وذلك الاحتواء أن حقق التنظيم جل المكاسب التي خطط لها، ومن ذلك: عدم وقوف العلماء في مواجهة علنية مع قادة التنظيم العلنيين الذين سموهم بقادة الصحوة، بل مهدوا لشهرتهم بتقريظ رسائلهم وكتاباتهم وحثوا على التلقي والأخذ عنهم، مما جعل لهم شهرة وصيتاً عالياً داخل البلاد وخارجها، حتى قاربت مستوى شهرة العلماء الكبار - إن لم تكن قد فاقتها - عند عامة المجتمع، أما عند أتباعهم فلاشك أنهم لا يعبرون العلماء، بل قادتهم عندهم هم العلماء وفقهاء الواقع) اهـ.

قلت: قال ربيع المدخلي سابقاً وهو في حالة انفعال: (ابن باز ما يعرف الحقيقة، الشيخ ابن باز هم يلبسون عليه)، وهاهم في تقرير سري يَشُونَ بابن باز وغيره من كبار العلماء، ويتكرر اللمز والوشاية في أمكنة كثيرة من تقريرهم، وبالتالي فهو - أي ابن باز - ليس مثل المفتي السابق الشيخ محمد بن إبراهيم في قوة الشخصية، وفي قدرته على مواجهة الأحداث، انظر إلى قولهم في موضع آخر من التقرير: (إنه ما يزال كثير من العلماء الكبار غير متصورين لحقيقة هؤلاء الدعاة، فضلاً عن تصورهم لحقيقة التنظيم السري العالمي)، ولهذا فهم يطالبون وزير الداخلية بتنظيم دورات توعية لكبار العلماء، ويرشحون نفراً منهم وآخرين من رجال الأمن كأساتذة في هذه الدورات، **فهل هناك إهانةٌ لكبار العلماء أكبر من هذه الإهانة؟!.**

3 - فتاوى ابن باز وغيره من العلماء ليست حجة عندهم إذا خالفت ما يروجون من آراء ومواقف، فهذا واحد منهم يقول في رده على المخالف: (لو كان فتاوى المشايخ عندك حجة مقدمة على الدليل إذن لن ننكر لا على أشعري ولا شيعي ولا على صوفي لأن عندهم مشايخ، وإذا قلت: إن هؤلاء مشايخ أهل السنة نقول والنعم منهم نحطهم على رؤوسنا ولكن نقول لك إن الذي خالفهم خالفهم بأدلة وحجج مستعد أن يناظرك عليها، وأن مشايخنا لما يتكلمون هذا الكلام نعتذر لهم، الذين ماعرفوا حالهم نعتذر لهم بهذا العذر، لكن نحن ملزمون بما عرفنا، النقطة قد تكون فتاوى المشايخ ليس مبنية على تزكية الجماعة نفسها بل مبنية على دعوة الجماعة، ثم جماعة التبليغ والله أنا اتعجب، الشيخ ابن باز يقول اخرجوا معهم كي تعلموهم وأنت تمدحهم كجماعة دعوية، زين الناس يخرجون علشان يعلمونهم دينهم، شلون بالله وعندهم بدع، وعلموهم وما يطلع معهم إلا طالب علم، ما يُؤمَنُوا على العامة هؤلاء...) [1] ، ثم يستدل أيضاً بكلام لابن عثيمين ولا يرى فيه تزكية لهذه الجماعة.

مرة أخرى أقول إن اهل الأهواء عندما يحاضرون ويكتبون في مسالة ينتصرون فيها لأهوائهم، لا يخشون من الوقوع في تناقضات، ولا يتقون الله فيما ينقلون عن غيرهم. لقد كذب على الشيخ ابن باز فيما قاله الشيخ عن جماعة التبليغ، بل ولا أعرف أحداً منهم وافق الشيخ في هذه المسألة، فقليل منهم سكت حتى لا يناقض نفسه، وأكثرهم قال مقولة صاحبهم: فتاوى المشايخ لا تقدم على الدليل، والذي خالفهم خالفهم بأدلة وحجج مستعد أن يناظر عليها، وهذا الذي اشتدوا في إنكاره على غيرهم!!

ثم نسمع في شريط آخر شيخاً من شيوخ المحاضر الأول يقول: (ويعني نرجع جميعاً ونقف علىقول علامتنا وإمامنا في هذا العصر الشيخ عبد العزيز بن باز فلا قول لأحد منا). لكنه لم يقف عند قول إمامه في جماعة التبليغ وغيرها من الجماعات، ولا في مسألة التبديع والتكفير، إنما يقف معه فيما يعجبه، ويبالغ فيقول في أحد أشرطته قولاً لم يسبق إليه، ويرفضه الشيخ عبد العزيز بن باز كما يرفضه كل عالم غيور على دينه.

يرد هذا المتعالم على الذين خالفوا فتوى هيئة كبار العلماء في السعودية في مسألة دخول القوات الأمريكية فيقول: (من كان من طلاب العلم إذا رأى إجماع أهل العلم، علماء كبار أجمعوا وأقروا على الجواز ثم هو يخالف، إيش موقفه هذا؟ هذا ما هو فقط مجرد مخالفة هم قطعاً خالفوا لأنهم يبنون مخالفتهم تلك على تحليلات سياسة... على تقريرات يعني سياسية من الجرائد والمجلات الأجنبية والإذاعات وغيرها)، وفي موضع آخر من محاضرته وصف المخالفين لفتوى هيئة كبار العلماء بالسفه.

مما يدعو إلى العجب أن هذا الذي يعتبر الفتوى (إجماعاً) يحمل شهادة دكتوراه في علوم الشريعة الإسلامية، ومن المفترض أن يكون قد درس الإجماع وأنواعه ومتى ينعقد... ولكن لنترك حديثه عن الإجماع، ولنعد إلى تقريره بوجوب الوقوف عند قول العلامة ابن باز، ولا قول لأحد منهم أو من غيرهم بعد قوله، هل كان صادقاً فيما قرره؟!، وهل يلتزم بما يقول الشيخ؟!، لقد أجاب على ذلك بقوله:

(يعني لا يقارن عبد العزيز بن باز ولا غير عبد العزيز ابن باز بما كان عليه شيخ الإسلام رحمة الله عليه، شيخ الإسلام رحمة الله عليه مثل أمور الفتوى وقضايا الإفتاء تختلف عن قضايا التقرير والبيان، ما أحد قرر وبيّن فساد مذاهب الصوفية والمتكلمين مثل شيخ الإسلام رحمة الله عليه، لكن لما ييجون الصوفية أنفسهم يسألون شيخ الإسلام عن بعض مشايخهم

---

[1] - انظر كتاب البديع في بيان منهج د. ربيع، للدكتور عبد العزيز بن خليفة الشايجي، ويقول المؤلف: إن قول المدخلي مسجل بشريط صوتي.

[1] - انظر الفرسان الثلاثة، شريط صوتي، وأبقينا القول بأخطائه اللغوية والعامية.

وبعض شيوخ طريقتهم يتكلم بكلام جيد جداً يوافق من؟ يوافق كثير من أهواء الصوفية، شيخ الإسلام رحمة الله عليه أثنى على أحمد الرفاعي، أحمد الرفاعي الخبيث الزنديق أثنى عليه. عندما تكلم مع الرفاعية وناقش الرفاعية قال لهم خلوكم مثل شيخكم، شيخكم كان عنده بعض الكلمات يقول مذهبنا على الكتاب والسنة... [ويمضي الدكتور في هذيانه إلى أن يقول] شيخ الإسلام رحمة الله عليه له ثناء والله نستحي أن نقوله له ثناء على أبو زيد البسطامي الخبيث المجرم صاحب مذهب وحدة الوجود على هذه الدنيا [ويقول بعد شيء من الاستطراد]: مذهب البسطامية يعني مذهب اليزيدية، خبيث مجرم زنديق ملحد في دين الله عز وجل يثني عليه شيخ الإسلام، ولكن نقول: دينُ الله عز وجل لا يتعلق بشيخ الإسلام ولا بغير شيخ الإسلام، أخطأ، فإن أردت أن تقول: قل أخطأ شيخ الإسلام).

أين البداية من النهاية؟، وأين القول من التطبيق؟، لقد كان يقول قبل قليل: نرجع جميعاً ونقف على قول علامتنا وإمامنا في هذا العصر الشيخ عبد العزيز بن باز، فلا قول لأحد منا، ثم رمى بقول إمامه عرض الحائط في مسألة الجماعات وغيرها، وأتبعه بقول شيخ الإسلام ابن تيمية مع اعتقاده بأنه لا يقارن به ابن باز ولا غيره، ولا يحد الدكتور أي حرج من القول (شيخ الإسلام رحمه الله له ثناء [على البسطامي الخبيث المجرم الزنديق الملحد] والله نستحي أن نقوله).

سنواصل في الحلقة القادمة إن شاء الله الحديث عن تسترهم بالعلماء.